16 em Année No. 794 — Lundi — 20 — 9 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد «٧٩٤» القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

صديقى الأستاذ توفيق الحكيم

مهما يكن من حرصى على ألا أدخل فى حديث يدور لى أو على ، فإنى لا أجيز لنفسى بعد ما قرأت فى (أخبار اليوم) تحيتك الكريمة أن أدعها تمر دون أن أتقبلها بالغبطة وأردها مع الشكر .

تفضلت فرشحتنى لكرسى شوقى فى كلية الآداب من جامعة فؤاد ، وأيدت ترشيحك بحسن ظنك بى وجميل رأيك فى . وليس الترشيح فى ذاته هو الذى هيأ نفسى للكلام وحرك يدى بالكتابة ؛ فإنك تعلم من نفسك ومن تجاربك أن الترشيح لمثل هذه المناصب تتنازعه عوامل مختلفة من هوى السياسة ورضى الحكم . والمعروف أنهم ينظرون فى المنصب إلى المال والمجد ومن لهما يستحق ، ولا ينظرون فيه إلى الفضل والكفاية ومن بهما يتصف . وإنى أعلم من نفسى ومن طبعى أننى لا أقبل هذا الكرسى وإن ذُلِّلت عقابه وسهِّلت صعابه ؛ لأنى أفضل أن أظل بقية حياتى كما كنت جنديًّا متطوعاً فى القوة الخفيفة من قوى الأدب العربى : أرود وأنتجع وأكتشف من غير نظام أتبعه ولا قائد أطيعه ولا جزاء أبتغيه ... ولقد عرض علىّ فى العام الماضى عميد كلية الآداب السابق أن أكون أستاذاً زائراً فى الكلية ، فقلت له والأسى يهدج صوتى ويقطّع كلامى : شكراً يا صديقى وعذراً ! لقد تقدمت السن وتأخرت الصحة وأوشك الماخر فى عباب الحياة أن يبلغ الساحل ! وما ذا تبتغى من عامل مكدود أدرك سن المعاش ، أو من فرس مجهود قارب نهاية الشوط ؟ إن من حق ذلك أن يسترفه ، ومن حق هذا أن يستجم . وما على الجواد من بأس إذا أخطأه الرهان بعد أن جرى مِلء فروجه وبذل غاية جهده حتى بلغ ما بلغ من غير سوط يحث ولا حقنة تثير ولا حيلة تساعد . ولكن صديقى ألح فى العرض وألححت فى الرفض ووقف الأمر بينى وبينه عند ذلك .

فالموضوع إذن يا صديقى أهون على من قطرة المداد التى تسيل بالحديث عنه ، وإنما هيأ نفسى للكلام وحرك يدى بالكتابة تلك الروح الطيبة التى أملت عليك ما كتبت ؛ فإن كلمة الخير من أديب فى أديب ، أو شهادة الحق من عالم فى عالم ، لم يسجلها تاريخ الأدب إلا فى باب النوادر ! ولعلك تذكر أننا تشاكينا مرة داء الضرائر بين الأدباء فقلت لك : لا أدرى لما ذا يظن الكاتب أو الشاعر أو الفنان أن الأرض لا تتسع إلا له ، وأن الناس لا يقبلون إلا منه ، وهو يعلم علم اليقين أن الأدب ألوان وطعوم ، وأن الذوق أشتات ودرجات ، وأن مثل الأدباء والفنانين فى العصر الواحد والبلد الواحد كمثل الجوقة الموسيقية تؤلف بأصواتها المتنوعة وصورها المتعددة لحناً واحداً يطرب النفوس المختلفة ، ويرضى الأذواق المتباينة ، وتجد مع هذه الوحدة وذلك الانسجام لكل عازف مكاناً ، ولكل صوت آذاناً ، ولكل قطعة فناً ، فلا تنفى آلة عن آلة ، ولا يجزى صوت عن صوت .

وإنى لأذكر أنك صوبت هذا الكلام وزدت عليه أن رجال

لو أصبح لليهود دولة ...

للأستاذ نقولا الحداد

إنه إذا لم تمحق جماعة إسرائيل المزيفة — ولا تمحق إلا بالسلاح — كان أولى كوارثنا أن الجامعة العربية تفقد هيبتها وتسقط قيمتها وتنحل كما تنحل قطعة السكر حلا فى الماء السخن بعد أن كان متوقعاً أن تتحول إلى ممالك متحدة على حد الاتحاد السويسرى أو الأمريكى ، بحيث تتضاعف قوتها أضعافاً .

الثانية : متى انحلت الجامعة العربية ضعف جداً استقلال كل دولة بحيث تستطيع جماعة إسرائيل أن تستغل هذا الضعف بسهولة كلية ، إذ يمكنها أن تلقى شباكها الاقتصادية ، فتتصيد الدول العربية واحدة بعد واحدة ، بأية حجة حتى بالقتال ، ثم تتحكم فيها ، إذ تأسرها بالالطف الاقتصادى ، وبالتحالف السياسى وبمجنو الصرافة Banking busyness ، وإذا اقتضى الأمر فبدلال بنات إسرائيل ، كرفقا وراحيل .

وثالثة الأثافى : أن ما كنا نتبجح به من الإجماع على مقاطعة المنتجات اليهودية ، والإعراض عن معاملة اليهود إلى أن يضيق بهم العيش ، وبنضب الرزق « ويطفشوا » من البلاد رويداً حتى تصبح جماعة إسرائيل بلا أهالى ولا رجال — إن هذا الظن يذهب حينئذ مع ريح الإغراءات الصهيونية المتنوعة .

الرابعة : لا نلبث أن نرى الصناعات الصهيونية قد ترعرعت وجعلت تزاحم صناعاتنا ومرافقنا ، وتقتل أسباب عيشنا واحداً واحداً حتى نصبح حينئذ عالة على الإنتاج الصهيونى فلا نستطيع أن نعيش إلا تحت رحمة أبناء صهيون وهم خالون من الرحمة .

الخامسة : يتغلغل رأس المال اليهودى فى جميع البلاد العربية وتصبح هذه البلاد مكبلة بالديون الإسرائيلية . ولا تلبث أن تصبح الأملاك والعقارات رهائن فى بنوك إسرائيل وفروعها فى جميع البلاد العربية — هكذا تنتقل ثروات البلاد إلى بنى صهيون ، فيفتقر العرب ، ويثرى اليهود . والنتيجة القصوى هى استعباد هؤلاء لأولئك .

والسادسة : أن ما نستبشر به الآن من ازدياد الغلال المعدنية التى تبشرنا بها جيولوجية بلادنا : كالبترول والفحم والحديد حتى الأورانيوم وغير هذه من خيرات الأرض الدفينة سيكون لشركات اليهود كما هى الحال الآن فى أملاح البحر الميت . ومهما تحوطنا حتى لا تقع هذه الثروات فى أيديهم ، فلا بد أن تؤول إليهم بفضل حكامنا الذين تغريهم الشركات اليهودية بالرواتب الوافرة لكى يكونوا أعضاء فى مجالس إدارتها ولكى يساهموا فيها إن أمكن ، ولكى يقال أن الشركة وطنية — مصرية أو سورية أو لبنانية أو عراقية الخ . لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لكى يحلبها شعب الله المختار (الجوييم) كما هو حادث الآن ، وبعض من الوزراء السابقين ، أو وجيه مصرى ذى نفوذ ، إلا وهو عضو فى عدة مجالس إدارات لشركات يهودية بمكافأة بضع عشر مئين من الجنيهات ، فى مقابل أن يسهلوا لها وسائل الرواج والكسب .

هل يصدق القارىء الكريم أن أحد هؤلاء « الوطنيين » هو عضو فى ٤٣ شركة ، وإن وجيهاً عظيماً يتقاضى من بعض الشركات ٢٢ ألف جنيه سنوياً . ولا يخجلون من أنهم بنفوذهم الوهمى يربحون هذه الشركات اليهودية الملايين ، ومن أين هذه الملايين ؟ طبعاً هى من دماء هذه الأمة المنكوبة بغيرة حكامها

السادسة : إن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، لا يلبث أن يشعر بعد قليل من رسوخ قدم الإسرائيليين ، أن الشركة الأمريكية التى تستغل بترول بلاده بقاء بضعة ملايين من الجنيهات قد أصبحت يهودية قلباً وقالباً من غير أن يعلم السوابق واللواحق . وحينئذ يعلم الماليون الأمريكيون أن هذا البترول الذين يقتتلون لأجله ، أصبح يتسرب إلى موسكو ؛ لأن تعاقداً سرياً بين موسكو وتل أبيب قد تم على نية أن تتبادل الصهيونية والشيوعية المنافع الضخمة . وحينئذ يعض ماليو أمريكا وساستها المغفلون أناملهم ندماً على تفريطهم بصداقة العرب ، وعلى تأييدهم الصهيونية فى الشرق العربى .

هذا المصير الذى يصير إليه بترول الحجاز ، سيكون مصير بترول العراق أيضاً ومصير بترول مصر وبترول البحرين ومصير

الأدب والفن هم صفوة الناس فى سمو النفس والحس ، فلا ينبغى أن يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من أوزار الغيرة وأضرار الحسد . وإنهم باتحادهم وتوادهم أحرياء أن يخففوا عن نفوسهم بعض ما يكابدون من عامية الخاصة وأمية العامة ومادية الحكومة .

والحمد لله والشكر لك ! لقد رأيتك تمنى ما تقول ، وتريد ما تمنى ، وتفعل ما تريد ! (المنصورة) احمد حسن الزيات

كل بترول جديد يظهر فى الشرق العربى . ومتى صارت منابع البترول فى أيدى اليهود فلا يعود نصيب جلالة الملك عبد العزيز السعود ونصيب حكومة العراق ونصيب أمير البحرين ونصيب أية حكومة عربية إلا قشر البيضة من ثروة البترول .

إن ثبتت قدم الصهيونيين (لا سمح الله) فسيكون كل هذا بعد عشرين أو ثلاثين سنة . وحينئذ سيقول من يبقون أحياء إلى ذلك الحين ممن قرأوا هذا المقال : « رحمة الله على نقولا الحداد » قال وقوله صدق » . وحينئذ لا تعود تنفع نهضة العرب ولا يقظتهم ولا غضبتهم ، بل تفتر كل حماسة وطنية لهم ، ويبقون كسالى تخدرهم الدعاية اليهودية ، وبذر الأموال اليهودية وتقتل كل تحفز لانقلاب عربى لإنقاذ العروبة من بين براثن الصهيونية .

* * *

أعنى أن أعلم ماذا يفهم أقطاب الساسة العرب من القول أن هذه الهدنة أبدية لا نهاية لها . إذن ماذا ينتظرون ؟ أينتظرون أن يستمر اليهود ينقضون الهدنة ، وأن يواظب برنادوت على القول أنه راض عن الحالة وأنه متفائل خيراً وأن الهدنة سائرة بانتظام — كذب وستين ألف كذب .

وهل يروق هذا القول لساستنا العظام ؟ إذن كيف تكون الهدنة غير مرضية لبرنادوت . أيحسبها شؤماً إذا كان العرب يدافعون حينما اليهود ينقضون ؟

وإذا كان ساستنا العظام يصرون على القول لبرنادوت « ليس عندنا حل لهذه المشكلة العقيمة إلا أن لا تقوم قائمة للصهيونيين بتاتاً — إذا كان هذا هو قولهم الذى لا يحيدون عنه بتاتاً ، فلماذا لا يسألون برنادوت ماذا فى دماغه من مشروع تسوية يوافق قول العرب هذا .

وإذا كان الأمر كذلك فحتى متى يصبر ساستنا على هذه الهدنة الفاهية التى ليس من ورائها إلا استفحال اليهود وتثبيت أقدامهم وتوسيع فتحهم وزيادة تسليحهم ، ثم بقاء عرب فلسطين مشردين فى غير بلادهم يعيشون عيشة الطوى على إحسان الخيرين ويموتون ببطء . وأخيراً لا يبقى إلا فلسطين اليهودية — إلى هذا يرمى اليهود ويمالئهم برنادوت فيما هو يتنقل بين مصيفى رودس وفلسطين .

إلى الآن لا أفهم معنى لهذه الهدنة التى لا نهاية لها . إذا كانت بلا نهاية . فالمعنى أن الحرب انتهت . فإذا كانت قد انتهت عند برنادوت واليهود ، فهل انتهت عند العرب على هذه الحال البليدة ؟ .

أليس عجباً غريباً أن غرباء أشباه الناس apes جاءوا من آخر الدنيا وطغوا بوحشيتهم وبإرهابهم الحيوانى وطردوا أهل البلاد من بلادهم وأقاموا هم فيها ونهبوا كل ما فيها من قوت وأثاث ولباس وغلال ومال واستولوا على أبنيتها : وأغرب من هذا أن يقف العرب عند هذه الحال مترددين صابرين يتوقعون الكروبيم من السماء أن ينزلوا إلى الأرض ليحرسوا فلسطين لأهلها ، كما كان الكروبيم يحرسون جنة عدن حين طرد الله منها آدم وحواء

لا أفهم ماذا ينتظرون إذا كانوا يعلمون جيداً أنه يستحيل عمل برنادوت أن يتوفق إلى حل للمشكلة غير إلغاء ما يتمناه الصهيونيون أيصبرون إلى أن يضجر العرب كلهم من دوام هذه الحالة البليدة ويتركوا صهيون لليهود .

* * *

وإلى الآن لا أفهم ماذا يعنى من يرتأون (حتى من ساسة العرب) أن يعود اللاجئون إلى بلادهم والمشكلة ، لا تزال قائمة لماذا هرب اللاجئون من بلادهم ؟ أليس لأن اليهود اعتدوا عليهم . فهل تغيرت طباعهم الحيوانية وصاروا بشراً يؤمن شرهم فما عادوا يفتكون بالأطفال والنساء والشيوخ ؟ على أى أساس يعود العرب المشردون إلى بلادهم وأولئك لا يزالون وحوشاً يتوحدونهم للفتك بهم .

وإنه لغريب أن يقترح برنادوت عودتهم إلى بلادهم وهو لا يقترح الوسيلة الضامنة سلامتهم من فتك بهم . وأغرب من هذا وذاك أن بعض أقطابنا يقبلون هذا الرأى من غير أن يقدروا العواقب .

وأغرب وأعجب أن يقبل أقطابنا أن يعيش هؤلاء اللاجئون المنكوبون على إحسان الأجانب . وإلى متى يبقون عالة هكذا والهدنة لا نهاية لها — يا للعار . يا للشنار .

* * *

عجبت أن يهتم برنادوت وأعوانه « بالشحاذة » للاجئين العرب ويستغيث بمجلس الأمن تارة وبالمؤسسات الخيرية أخرى

(البقية على صفحة ١٠٨١)

محاكمات

للدكتور جواد علي

كان امتحان « الحجاج بن يوسف الثقفي » لأهل العراق في إيمانهم أشد وقعاً عليهم من السيف الذي سلط عليهم في معركة « دير الجماجم » والمعارك التي تلتها .

دخل الحجاج الكوفة بعد إنتصاره على ابن الأشعث فعقد مجلساً عظيما لامتحان الناس ولاذلال أهل الكوفة . فجلس هو في الصدر وأجلس « مصقلة بن كرب بن رقبة العبدي » إلى جنبه وكان خطيباً جهوري الصوت . وقد قال له :

إشتم كل امرىء بما فيه ممن كنا أحسنا إليه ، فاشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ، ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إليه نفسه .

وقد أدى هذا الخطيب الشتام عمله على خير ما يكون . فجاء بأقبح الشتائم وأخرج آخر ما عرف من إحداث في هذا الفن . فكان الشخص يعرض عليه وبعد أن ينال نصيبه من الشتم على وجه يرضى الحجاج ، يتعرض إلى مقالة الوالي وتقريعه ، وبعد أن يشبع « الثقفي » نفسه يطلب منه التوبة والإقرار بالكفر بخروجه عليه ونقضه البيعة لأمير المؤمنين وإلا فالقتل .

وكان جرّاس الحجاج يقدمون الناس إليه واحداً واحداً ، وكل رجل ونصيبه . فإما الإهانة والذل والإقرار بالكفر ، وإما الفصل بين الرأس والجسد دون كلام ولا مناقشة . هذا رجل من خثعم قد جاوز الثمانين وقد كان معتزلا للناس جميعاً فيما وراء الفرات جاء به الحظ إلى الحجاج فيسأله الحجاج عن حاله فيجيب :

مازلت معتزلا وراء هذه المنطقة منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأتيت لأبايعك مع الناس .

الحجاج : أمتربص ؟ أتشهد أنك كافر ؟

الرجل : بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر !

الحجاج : إذاً أقتلك .

الخثعمي . وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلا ظمىء حمار وإني لأنتظر الموت صباح مساء .

الحجاج : إضربوا عنقه .

فضربت عنقه أمام الحجاج ، وقريش وأهل الشام يترحمون سراً على هذا الشيخ المسكين .

وهذا كميل بن زياد النخعي ينال حصته من الشتم ثم يعرض على الحجاج فيبادره الثقفي بقوله :

أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً .

كميل : والله ما أدري على أينا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم علي حين عفوت عنه ؟

أيها الرجل من ثقيف : لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكثيب ، ولا تكشر كشران الذئب . والله ما بقي من عمري إلا ظمىء الحمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة . أقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب .

الحجاج : فإن الحجة عليك .

كميل : إن كان القضاء عليك .

الحجاج : بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين . إقتلوه . فيحتضنه الجلاد أبو الجهم بن كنانة الكلبي ويذبحه أمام سيده الحجاج ذبح النعاج .

ويدخل الحرس برجل آخر من طراز جديد ، من أصحاب الدنيا ، ممن يعرفون كيف يهربون من عزرائيل .

الحجاج : إني أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر .

الرجل : أتخادعني عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذي الأوتاد !

فيضحك الحجاج ، ويشعر في نفسه بأن الرجل قد غلبه ، وأنه ممن لا يستقرون على حال . ويأمر بإطلاق حريته .

ثم يأتي أهل الشام « بأعشى همدان » الشاعر الذي انضم إلى « ابن الأشعث » طمعاً في ماله والذي ينضم إلى كل أحد حتى إلى الشيطان إذا ما وجد عنده المال . الشاعر الذي كان يسير بين

يدى « عبد الرحمن » فى زحفه على العراق للقضاء على الحجاج وهو يقول :

شطت نوى من داره بالإيوان
إيوان كسرى ذى القِرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان   إن ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان   أمكن ربى من ثقيف همدان
يوماً إلى الليل يسلى ما كان   أنا سخونا للكفور الفتان

الحجاج : إيه يا عدو الله ! أنشدنى قولك : بين الأشج بين قيس ... أنفذ بيتك .

أعشى همدان : بل أنشدك ما قلت لك .

الحجاج : بل أنشدنى هذه .

أعشى همدان ينشده :

أبى الله إلا أن يتمم نوره   ويطفىء نور الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا

إلى أن يقول :

فكيف رأيت الله فرق جمعهم   ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة   وحيهم أمسى ذليلاً مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة   وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما   قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا

وهى قصيدة تزيد على الثلاثين بيتاً من شر ما تكلم فى ذم أهل العراق وأحسن ما قيل فى مدح الحجاج وأهل الشام حتى اهتز أهل الشام طرباً وصاحوا : أحسن، أصلح الله الأمير . وظن الشاعر أنه قد تغلب على غضب الحجاج بهذه القصيدة ونجا ، وأنه سيعيش . ومن يدرى فلعله كان يأمل هجاء الحجاج من جديد وقد تعود من قبل مدح الناس وهجاءهم فى آن واحد .

الحجاج : لا ، لم يحسن . إنكم لا تدرون ما أراد بها .

يا عدو الله ! إنا لسنا نحمدك على هذا القول إنما قلت تأسف أن لا يكون ظهر وظفر . وتحريضاً لأصحابك علينا وليس عن هذا سألناك . أنفذ لنا قولك : بين الأشج وبين قيس باذخ

فينشد أعشى همدان إلى أن يصل إلى قوله :

بخ بخ لوالده وللمولود .

الحجاج : لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً . إضربوا عنقه .

فتضرب عنقه . ويفصل رأسه عن جسده وينال جزاء تقلبه وتلونه وهجاء الناس ومدحهم طمعاً فى الدنيا والمال .

ويدخل الحاجب بالأسرى ممن أرسلهم يزيد بن المهلب .

الحجاج : جئنى بسيدهم :

الحاجب : قم يا فيروز ، وكان رجلا غنياً من أصحاب الملايين له ثروة عريضة لا تقدر بثمن :

الحجاج : أبا عثمان ! ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم !

فيروز : فتنة عمت الناس فكنت فيها .

الحجاج : اكتب لى أموالك .

فيروز : ثم ماذا ؟

الحجاج : اكتبها أول .

فيروز : ثم أنا آمن على دمى ؟

الحجاج : اكتبها ثم أنظر .

فيروز : اكتب يا غلام : ألف ألف ألفى ألف وذكر له مالاً كثيراً ، وهو يقصد من وراء ذلك إغراء الحجاج ودفع غائلة الموت عنه .

الحجاج : وقد استهوته هذه الأموال : أين هذه الأموال ؟

فيروز : عندى .

الحجاج : أدها .

فيروز : وأنا آمن على دمى ؟

الحجاج : والله لتؤدينها ثم لأقتلنك .

فيروز : والله لا تجمع مالى ودمى .

الحجاج للحاجب : نحه .

الحجاج : ليدخل أسير آخر .

يدخل محمد بن سعد بن أبى وقاص :

الحجاج : إيها ! باطل الشيطان أعظم الناس تيهاً وكبراً . تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذناً لابن كناز عبد بنى نصر (يعنى عمر بن أبى الصلت) . وأخذ الحجاج عوداً وصار يضرب به رأس محمد حتى أدماه .

محمد : أيها الرجل ملكت فأسجح .

فكف الحجاج يده .

محمد : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكاً فى ذلك وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت .

يطرق الحجاج ملياً كأنه يفكر فى أمر هام ثم يتغلب عليه طبعه فيخاطب الجلاد :

— اضرب عنقه . فضربت عنقه .

الحجاج : يدعى آخر .

(يدخل عمر بن موسى)

الحجاج : يا عبد الزباء ! أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس ، وتقول المقالة التى قلت ؟ اضرب عنقه .

ثم أدخل « ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة » وكان غلاماً حدثاً فدخل وهو مرتبك خائف :

أصلح الله الأمير ! مالى ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى وكنت معهما حيث كانا .

الحجاج : وكانت أمك مع أبيك فى هذه الفتن كلها ؟

الغلام : نعم .

الحجاج : على أبيك لعنة الله .

الحجاج : ليدخل الهلقام بن نعيم :

الحجاج يخاطب الهلقام :

اجعل ابن الأشعث طلب منك ما طلب ، ما الذى أملت أنت معه ؟

الهلقام : أملت أنه يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك

الحجاج : قم يا حوشب فاضرب عنقه . وليدخل عبد الله ابن عامر .

عبد الله : لا رأت عيناك ياحجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع .

الحجاج : وما صنع ؟

ابن عامر :

لأنه كاس فى إطلاق أسرته وقاد نحوك فى أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

يطرق الحجاج ملياً وقد وقرت الكلمة فى قلبه . ثم تتغلب عليه روح الانتقام فيقول : وما أنت وذاك ؟

اضرب عنقه ، فتضرب عنقه .

ثم أمر الحجاج بتعذيب « فيروز » بعد أن يئس من الحصول على ثروته وأخذ أمواله . فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ثم ينضح عليه الخل والملح . فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب: إن الناس لا يشكون أنى قد قتلت ، ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهرونى للناس ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال . فأعلم الحجاج ، فقال أظهروه فأخرج إلى باب المدينة .

فيروز : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا فيروز حصين ؛ إن لى عند أقوام أموالا فمن كان لى عنده شيء فهو له وهو منه فى حل ، فلا يؤدين منه أحد درهماً . ليبلغ الشاهد الغائب .

الحجاج : وقد اغتاظ وهاج لحرمانه من ثروة « فيروز » تضرب عنقه . تضرب عنقه .

وبينا الحجاج فى مجلس من مجالسه إذ بعامر بن شراحيل الشعبي يدخل عليه ، وكان ممن طلبهم الحجاج وأراد قتلهم لأنه كان ممن يحرضون القراء على حرب الحجاج ، وهو القائل فى وسط المعركة :

يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم فى الحكم، فليكن بهم البدار .

الحجاج متعجباً : الشعبى !! ؟

الشعبى : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أقدم البلد وعطاؤك كذا وكذا فزدناك فى عطائك ولا يزاد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم آمر أن تؤم قومك ولا يؤم مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أعرفك على قومك ولا يعرف مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما أخرجك مع عدو الرحمن ؟

الشعبى : أصلح الله الأمير ، خبطتنا فتنة فما كنا فيها بأبرار أتقياء ، ولا فجار أقوياء ؛ وقد كتبت إلى يزيد بن أبى مسلم أعلمه

ندامتي على ما فرط مني ومعرفتي بالحق الذي خرجت منه وسألته أن يخبر بذلك الأمير ويأخذ لي منه أماناً فلم يفعل .

الحجاج إلى يزيد : أكذلك يا يزيد ؟

يزيد : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما منعك أن تخبرني بكتابه ؟

يزيد : الشغل الذي كان فيه الأمير .

الحجاج للشعبي : أولا انصرف .

وانصرف الشعبي . وعاش عيشة راضية حتى وافاه أجله المحتوم

وكان سعيد بن جبير (سيد التابعين) ممن انضم إلى حركة ابن الأشعث وحرض القراء والناس على الحجاج وشهد معركة « دير الجماجم » مثل سائر فقهاء العراق أمثال عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البحتري والشعبي وغيرهم . وهو القائل مخاطباً جيش أهل العراق : « قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة » .

وكان معروفاً بصلابته وصراحته وعدم مبالاته ، وهو القائل « لا تقية في الإسلام » . ولو استعمل ابن جبير شيئاً من المرونة لكان من الناجين بأنفسهم من عقاب الحجاج حتماً . غير أنه لم يكن من الراغبين في هذه الدنيا . وقد طلب منه حارسه الذي جاء به من مكة إلى الحجاج أن ينجو بنفسه وأن يهرب والحارس راض في ذلك شاكر ، ولكن ابن جبير لم يقبل أن يكون من الهاربين ولا من الذين يكونون سبباً في نكبة الغير .

ولما مثل بين يدي الحجاج قال له الحجاج : ما اسمك ؟

سعيد : اسمي سعيد بن جبير .

الحجاج : بل شقي بن كسير .

سعيد : أبي كان أعلم باسمي منك !

الحجاج : لقد شقيت وشقي أبوك !

سعيد : الغيب إنما يعلمه غيرك !

الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك .

الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟

سعيد : لست عليهم بوكيل .

الحجاج : اختر أي قتلة تريد أن أقتلك !

سعيد : بل اختر يا شقي لنفسك ! فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها !

الحجاج : ليقتل ، فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده وسأله عن ضحكه ، فقال : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ! فأمر به فذبح ! فلما كب لوجهه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ، اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي ! فذبح واحتز رأسه !

لقد قتل الحجاج ما يزيد على المائة والعشرين ألفاً . ولكنه لم يتأثر بمقتل أحد تأثره بمقتل سعيد بن جبير . لقد التبس عقل الحجاج كما يقال منذ اللحظة التي شاهد فيها رأس سعيد ينفصل عن جسمه . فلم يذق النوم بعد ذلك فكان يرى في منامه سعيد ابن جبير وهو يقول له : يا عدو الله فيم قتلتني ؟ فكان الحجاج يصرخ ويستغيث قائلا : يا قوم مالي ولسعيد بن جبير؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحاقي . وصدقت نبوءة سعيد فلم يمش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة .

أراد الحجاج أن تستقيم الأمور عن طريق الضغط والإكراه وإجبار الشعب على التسليم ، وأبت الأمور أن تستقيم عن هذا الطريق فأفلت الأمر بعد وفاة الحجاج .

(دمشق) جواد علي

من ذكريات الطفولة :

ظننته يوم القيـــامة ولكن الله سلم

للأستاذ كامل كيلانى

لعل هذه أول صورة انطبعت فى ذاكرتى من ذكريات الحياة كلها . أذكر أننى وجدتنى جالساً فى مكتب (كتاب) قريب جداً من دارى إلى جانب ابن أختى ، ولست أدرى لماذا استصحبنى إلى مكتب الفقيه وأنا فى مستهل نشأتى وفجر طفولتى ؟ وكان الأطفال فى هرج ومرج لا أعرف لهما سبباً ، بل لعلى عرفت السبب فيما بعد ، فقد كان غياب الفقيه فيما أظن سبب ذلك الاضطراب ، ولم يكن عريف المكتب على ضخامته وطول قامته بقادر على السيطرة على أولئك الأشقياء الخبثاء ، ولعل الأطفال كانوا يسخرون به لأنه أشل (أعنى أن إحدى يديه ولعلها اليسرى شلاء) ، ولا أدرى كيف حاول أن يثبت مسماراً فى الحائط فلم يجد شيئاً يدقه به ، فلما ضاقت به الحيل عمد إلى محبرة سميكة ، وكأنما خيل إليه أن ضخامتها ستحميها من الكسر ، ولعله نسى أنها من الزجاج المفرغ ، وأنها لن تقوى على دق المسمار ، على أنه لم يكد يبدأ الدقة الأولى حتى خرق المسمار المحبرة وسال مدادها الأسود على وجه العريف ويديه وثوبه !

فهلل الأطفال وصيحوا وصفقوا من فرط سرورهم بما رأوا ، ولا زالت صورة العريف ماثلة أمامى ، منطبعة فى ذاكرتى ، وأنا أملى هذه السطور ، كأنما رأيت منذ لحظات يسيرة وهو يحاول جهده أن يهدئ من ثائرة الأولاد ، فلا يزيدهم ذلك إلا تمرداً وصخباً ، وقد زادتهم حيرته وارتباكه نشاطاً ومرحاً . وهنا يدخل الفقيه ، وهو شيخ رائع السمت ، فارع الطول ، متجهم الوجه ، قوى الشخصية ، فيسود الصمت والفزع ، ويستولى علينا الخوف والهلع ، ويتبدل كل شيء فى لحظة واحدة من الضد إلى الضد ، فلا يكاد يجرؤ أحد على التنفس خشية أن تسمع نأمته فتجلب عليه شراً مستطيراً ، ويأمر الفقيه باحضار (الفلقة) ، ولا يكاد ينتهى من خامس الأولاد فى الصف الأول ، حتى تمترينى القشعريرة ، فقد جاء الدور على ، وإنى لأترقب إشارة الفقيه بوضع رجلى فى حبل الفلقة ، وقد استولى الذعر على نفسى ، إذا بجلجلة أشبه بقصف الرعود ، وصيحات عالية مدوية تأخذنا من كل مكان وإذ بسقف المكتب يطير كل مطار ، وقد تناثرت ألواحه وتطايرت أركان الجدار وقواعده ، واختفى الشيخ والعريف وصبية المكتب فى لحظة واحدة عن عينى فلم أدر أين فروا !

وما أذكر بعد ذلك إلا أننى كنت أمشى مع ابن أختى فى طريقنا إلى البيت والأحجار تتناثر من حولنا فى كل مكان ، فتقتل من تقتل ونحن لاهيان لا ندرى من أمرنا شيئاً . فلما بلغنا الدار — وهى قريبة من جبل المقطم — إذ بالهلع يستولى على كل من فيها ، وإذ بزجاج النوافذ محطم . وأذكر أننى سألت ابن أختى عما حدث فقال لى : إن القيامة قد قامت ! ولم أفهم حينئذ معنى هذه الجملة ، ولا عرفت ما هى القيامة ، ولا كيف تقوم ، ولعلى لم أفهم معناها الغامض أكثر مما يفهم السامع الخالى الذهن حين يقال إن نائماً صحا ، أو صاحياً نام ، أو زائراً قدم ، أو قاعداً قام .

ولم أفهم حقيقة ما حدث إلا بعد سنوات عدة ، فقد عرفت والعهدة على من حدثنى ، فلم أستق الخبر حينئذ إلا من حوذى كان عندنا ، وقد كان رحمة الله عليه نصف أمى إذا وزنته بميزان الثقافة والاطلاع ، ونصف فيلسوف إذا وزنته بميزان الفهم والإدراك . حدثنى ذلك الفيلسوف الأمى قال : « كان يشتغل فى مخزن الذخائر الحربية الملاصق لجبل المقطم أحد العمال ، فألقى على غير انتباه بما تبقى من لفافة التبغ ، فلم تلبث أن علقت بما حولها من البارود ، فوقعت الكارثة وأطارت من حجارة المقطم ما أطارت ، وقتلت من الأناس والحيوان من قتلت ، ودمرت من الآثار ما دمرت . وكان الحوذى يشير بإصبعه إلى رؤوس المآذن التى طاحت بها وهى قريبة من دارنا . لقد كان هول القيامة يتمثل لى حينئذ فى عصا الفقيه وقد فرحت بنجاتى منها ، فلما كبرت تبين لى أننى فرحت بالنجاة من خطر موهوم ، لأننى كنت أصغر من أن يعاقبنى الفقيه أو يهم بضربى ، فلم أتجاوز الثالثة من عمرى حينئذ ، ونسيت أننى نجوت من هلاك محقق بأعجوبة من الأعاجيب . وعلى ضوء هذا الحادث الهائل فهمت فى قابل أيامى دقائق الصورة البيانية الرائعة التى أبدعها خيال المتنبى شاعرنا الأكبر حين قال لسيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

كامل كيلانى

٢ ـ طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن آراء طاغور التى توحد بين الشرق والغرب ، آراء مفكر مثالى ، عاش بوجدانه يستلهمه الحكمة ، ويستوحيه المعانى الإنسانية ، فلم يتعثر بمفاسد الحياة الدولية ، ولم يختبر سوء نية الحكومات الاستعمارية إلا عن بعد ؛ فاستطاع أن يدرك ما فى المدنية الغربية من مثالب ، وما فى عادات الهند القديمة من ضعف وأن يصور لنا إنموذجاً فكرياً خالياً من شوائب الماضى والحاضر ولكن هذا النموذج المثالى ينقصه الاتجاه التنفيذى والناحية الإلزامية ، كما لم يضع وسائل عملية ، يستعان بها فى تحرر الغرب من المادية والأثرة وحب السيطرة ، ولم يسن أساليب جديدة ، تخرج الهنود من عزلتهم ، وتدمجهم فى تيار الحياة الحديثة بخلاف غاندى الذى عرك الحياة السياسية ، واحتك بخبث الحكومات الانجليزية ، فتكشف له خداعها وغدرها ، وتبين له بجلاء أنها تهدد باسم الدفاع عن الحرية ، وباسم الشرف والحق جميع الأنظمة الخلقية التى تحدد علاقات الأمم بعضها ببعض ، وتلهى الشعوب الخاضعة لسيطرتها بالوعود الكاذبة ، لتنال منها ما تريد . فاتضح لغاندى أن الروابط الدولية لا تستند على أى أساس خلقى ، وإنما تخضع للأهواء والمصالح ، وتستند على الغش والخيانة . وأن الدول الغربية لا تجعل للحياة إلا غرضاً واحداً ، هو النفع المادى أو الإصلاح المادى أو الرقى المادى ، ولا تعترف بالحياة الروحية أو بالقيم الإنسانية . فاستعبدتها المادة لدرجة أنها لا تحجم عن ارتكاب ذى جريمة تتنافى وكرامة الإنسانية فى سبيل الحصول على هذه المادة الحقيرة . وأخذت تسترق الشعوب وتسلبها مواردها الطبيعية ، وتتلف حيويتها وتفسد أخلاقها ، حتى لا تنتبه للذى يسرقها .

فأدرك غاندى بثاقب بصيرته أن مدنية الغرب ليست بالمدنية المثالية ، ومن الجرم أن تعتمد عليها الهند فى نهضتها ، لأنها لن تفوز بمجد ، إلا إذا رجعت إلى تراث حضاراتها القديمة وبعثته من جديد فى صورة تلائم روح الهنود العصرية ؛ ورفضت أن تأخذ من الغرب شيئاً ؛ وعملت على أن تتخلص تدريجياً من كل ما شاع بين أبنائها من الغرب ، لتتحرر نهائياً من تأثير حضارته المادية الضار بحياة الهنود . فلم يدع غاندى إلى اتحاد الشرق والغرب ، لأنه وجد الغرب يستعبد الشرق ، ويستغل خيراته ، ويستنزف أرزاق أهله . ولم يثق فى صدق نواياه فى التعاون ، لأن اصطدامه بالمستعمر البريطانى أظهر له عيوب الأخلاق الدول الغربية ، وأراه الانجليز الذين أخلص لهم الولاء وحض شعبه على مساعدتهم أثناء الحرب العالمية الأولى ، يحنثون فى وعودهم المتنكرة ، ويرفضون منح الهند استقلالها ، ويكبلونها بأنظمة قاسية توطد سيادتهم عليها . ولذلك لم يفكر غاندى فى تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب كما فعل طاغور وإنما لبى نداء الوطن ، وهب يخط للهنود خططاً عملية مستمدة من تقاليد الديانات الهندوكية ، لمحاربة المستعمر المادى الأنانى الطاغى حتى يتبين له أن مقدماته العقلية والفنية والخلقية ، لا يمكنها أن تسحر روح الهند وتخدرها ، ثم تغريها بمجاراة الحياة الغربية ، فتتنازل على ما جبلت عليه من تعاليم وعادات ، وتقبل أن تهدم كيانها الروحى من أجل محاكاة ما توصلت إليه المدنية الحديثة من رق مادى ، فيسهل على الغرب فرض نفوذه على شتى نواحى الحياة الهندية .

فوقف غاندى كالصرح المتيد أمام الغرب ، يحمى تراث الهند الروحى من الضياع والتلف ، ويستنهض همم الهنود لمقاومة طغيان الإنجليز . ولجأ إلى طرق فذة ناجحة فى مناضلة الاستعمار فى الهند ، هداه إليها مزاجه الهندى السليم ، وطبيعته الروحية الشرقية التى تمشق السلام والخير ، وتولع بالتسامح والحب ، وتكره العنف والقسوة . فاستنجد بمقومات الروح الهندية الأصلية ، واستغل كلف الهنود بالزهد والمجاهدة من أجل تخليص الروح من أدران الحياة ، وإعدادها للتلاشى فى روح الله الكبرى التى تشمل كل محتويات الكون . وأخرجه من كهف الزاهد إلى ساحة الجهاد السياسى ، وتقل مقدرة الهنود النادرة على تحمل الآلام الجسمية ومقاساة تعذيب النفس ، من نطاق القوانين

الدينية إلى نطاق التضحية الوطنية . ولم يكلف ذلك غاندى كبير جهد ، لأنه يعلم أن الزاهد الهندى تعود منذ القدم أن يحارب شهواته بأساليب سلبية هادئة ، يقومها الحب والخير والسلام . فكان يعتزل الحياة التى تشغل الإنسان بالأرض والمادة ، وتلهيه عن الاتحاد بالله الذى يتحمل الزاهد فى سبيل الفناء فيه كل ألوان العذاب النفسى والجسمى . فاستنتج غاندى بعبقريته الروحية أن الهندى العادى فى نضاله مع الانجليز يمكنه أن يحاكى الزاهد القديم فى محاربته الشهوات والأهواء وملاذ الحياة بوسائل سلبية سلمية قاسية . وعزم على أن يعلم الهندى أن يقاوم المستعمر بسلاح سلبى سلمى ، قد يعرضه للاضطهاد والتنكيل ، ويتطلب منه إيماناً بالحق الذى يدافع عنه ، وتضحيةً وعزماً وثباتاً فى سبيل الفوز به . وهذا السلاح يتفق مع المزاج الهندى الروحى ، لأنه لا يخرج على التسامح والحب والسلام ، ولا يعتمد على العنف أو القسوة ، ولا حتى يثير العداوة والبغضاء فى النفوس وإنما ينشد إزالة قوانين جائرة ، أو تحقيق استقلال شعب مستعبد عن طريق معاناة الألم والمشقة ، كما كان يعانى الزاهد قديماً مثل هذه الآلام فى سبيل فناء ذاته فى الله . وبذلك استطاع غاندى أن يطلق الطاقات الروحية الكامنة فى أعماق نفوس الشعب الهندى ، ويفسح لها الطريق لتخوض مضمار الحياة السياسية ، ويشهر فى وجه الانجليز سلاح « الستياجراها » أى سلاح « المقاومة السلبية » الذى ينقسم إلى قسمين أحدهما : العصيان المدنى ، والآخر : اللاتعاون

أما عن العصيان المدنى : فهو نوع من الإضراب العام السلمى ، يمتنع الشعب أثناءه عن أداء أى عمل خلاف الصلاة والصوم . ويستخدم كوسيلة لنيل حقوق مهضومة ، أو لفوز باستقلال مسلوب ، وكطريق لإلغاء مشاريع ظالمة أو لرفع ضرائب فادحة ، مثل ضريبة الملح وقانون احتكار الانجليز لصناعته . وقد يكون هذا العصيان كذلك نوعاً من المعارضة الدستورية ، تبدو فى صورة رفض طاعة قانون من القوانين الجائرة وعدم تنفيذه أو الخروج عليه ، مثل صناعة أحد الهنود للملح المحذور صناعته على أهالى الهند . ويشترط غاندى فى من يشترك فى العصيان ، أن يكون مالكا زمام نفسه مسيطراً على أهوائه ، بحيث لا يضطر إلى أن يثير أى عنف أو يثيره أى عنف ، حتى يخلو العصيان من الشغب ، ويسير حسب الآداب المرعية ، محافظاً على الأمن ، محترماً للنظم المتبعة فى البلاد . ولكى يضمن غاندى سلمية العصيان ، حرص على إعداد الشعب له تدريجياً ، علماً منه بأن الشعب حديث العهد به وغير تام الأهبة له ، وليس من الحكمة أن يطلب منه مثل هذا العصيان ، قبل أن يألف نظمه وأساليبه ، وقبل أن يملك أمرة النفس . فسن قواعد دقيقة لتنظيم حركات العصيان ، وحصرها فى ميادين يخصصها لهم غاندى ، يشرف عليها منظمون مدربون على العصيان السلمى ، وقادرون أن يمرنوا الشعب على تجنب العنف فى عصيانهم وأن يحبطوا ما يمكن أن يحدثه الرعاع من شغب ، قد يسبب اضطرابات وفتنا ، تهيج النفوس ، وتثير الفوضى ، فتندلع نيران ثورة دموية ، لا يعرف مدى نتائجها الوخيمة . ولا يكفى اجتناب الشعب الشغب ليضمن حسن سير العصيان وهدوئه ، بل يتطلب كذلك قدرة نفسية على تحمل كل ما يمكن أن يقع على الهندى من عذاب واضطهاد ، نظير عصيانه هذا الذى لا يرضى عنه المستعمر ، بل يغضبه . وكذلك يجب ألا يبالى الهندى بما قد ينزل به من ألم ، بأن إهانة المستعمر أو سبه ، يجب عليه أن يتحمل ذلك بصبر وأناة ، ولا يثور أو يقابل الإهانة بالإهانة والسب بالسب ، ويسامحه . وإن أرادت السلطات الحاكمة أن تقبض عليه وتدفع به إلى السجن ، يجب أن يسلم نفسه من غير مقاومة ، غير مهتم بما سوف يذوقه من تنكيل فى الغد . وإن جلد بوحشية ، وركل بالأرجل ، وصفع بالأكف ، يجب أن يظل ثابتاً على سكينته غير آبه بما يقع عليه من ضروب القسوة المهينة . وإن أرهب بالقتل ، وهدد بالموت ، يجب أن يتمسك برابطة اليأس ، ولا يجزع من فقدان حياته ، ويرحب بالتضحية بها فى سبيل الغاية السامية ، ولا يلجأ مطلقاً إلى العنف ، بأن العفو أشرف من الانتقام فلا يجب أن يقابل عنف الخصم بالعنف وإنما يواجهه بنور الحب الذى يسطع من إيمانه بحقه وتفانيه فى الدفاع عنه ، ويتبع من آلامه التى احتملها طواعية فإن عدم العنف لا يدل على ضعف أو خوف أو استسلام للمسيء وإنما يدل على رضاء النفس بالعذاب فى سبيل الحق الوطنى ،

ورغبتها فى مقاومة المستعمر بقوة الروح للحصول على الاستقلال.

وبالرغم من كافة هذه الاحتياطات ، وجمال هذه التعليمات ، فلم يخل عصيان من عنف ، وذلك لأن الشرطة كانت كثيراً ما تتحرش بالشعب وتستفزه ، وسرعان ما تنقلب سلمية العصيان إلى همجية بربرية وفوضى بهيمية يطلق فيها الرصاص ، وتراق الدماء ، وتشعل الحرائق ، وتنهب البيوت والمحال التجارية ، وتتحطم المرافق العامة . وكل هذا كان يؤلم غاندى ويغضبه أشد الغضب ، وحاول أول الأمر أن يمهد للعصيان المدنى السلمى الشامل بتمرين الهنود على اللاتعاون مع الانجليز ، ومقاطعتهم سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، حتى يدركوا كنه العصيان السلمى ، ويتشربوا بمبادئه . ولكنه وجد أن من العسير أن يتحقق عصيان بدون عنف ، ولذلك فضل عليه اللاتعاون الذى لا يتخلله أى شغب أو اضطراب .

واللاتعاون هو ســـلاح المقاومة السلبية الثانى ، قصد به غاندى مقاطعة الغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً من ناحية ، وتقوية روح الهنود المعنوية ورفع مستوى المعيشة وترقية الحياة العامة عن طريق استغلال مقدمات الهند القديمة لصالح البلاد من ناحية أخرى . ولجأ إليه بعد أن بلغت حماسة الهنود الوطنية حد الانفجار ، فأراد أن يخفف من شدة هذه الحماسة بحثهم على مقاطعة الانجليز وعدم التعاون معهم ، حتى لا ينقلب التذمر من سوء الحالة السياسية إلى ثورة دموية . واستطاع غاندى بذلك أن يشغل حماسة قومه بضرب من المقاومة السلمية ، ألهتهم عن اتباع أى أسلوب عنيف يكرهه ، وأن يعطى فى الوقت نفسه فرصة لمبادئه فى المقاومة السلبية لتتسرب إلى نفوس الهنود ، وتستقر فى قلوبهم ، فيألفون روح النضال السلمى ، ويؤمنون بقوة اللاعنف ، وقدرة الحب على رفع ظلم الانجليز واستعبادهم للبلاد .

وطلب غاندى من الهنود ألا يتعاونوا مع الانجليز سياسياً وحربياً وقضائياً واقتصادياً وثقافياً . ويقصد من اللاتعاون السياسى أن يتنازل كل فرد عن الألقاب والرتب الشرفية التى منحتها له الحكومة الانجليزية ، وأن يمتنع عن الاكتتاب فى قروض الحكومة ، وأن يتجنب التوظف فى الوظائف الحكومية ، وأن يقاطع مجالس الإصلاحات الدستورية ، حتى يقطع الهنود أية علاقة تربطهم بالحكومة ، فيشل دولاب العمل ويتحرج مركزها ، وتضطر فى النهـــاية إلى مهادنة الهنود وتلبية مطالبهم .

كذلك يجب أن لا يتعاون الهنود والانجليز حربياً ، ويرفضون أى منصب عسكرى ، يكون مدعاة لتثبيت أركان الاستعمار فى البلاد .

أما عن عدم التعاون القضائى ، فينبغى أن يمتنع جميع القضاة عن الاشتغال بالمحاكم الحكومية ، وأن يتوقف رجال القانون عن المرافعة بها ، وأن ينقل الفصل فى الخصومات بين المحاكم الأميرية إلى التحكيم الأهلى . ذلك لأن المحاكم فى الهند آلة بيد السلطة البريطانية ، تحاول أن توطد بها نفوذها فى البلاد عن طريق إذكاء نار الشقاق بين الهنود ، ونشر النزاع بين الطوائف وهى لا تعيش إلا على إيذاء الناس ، بينما تجادل بلجاجة عند دفع الحقوق ، وتسوف عند طلب الوفاء بالتعهدات . فأصبح تعطيل المحاكم الحكومية أمراً ضرورياً لضمان توحيد كلمة الهند وتعاون أفرادها .

وتتلخص المقاومة الاقتصادية فى أن الهند بأجمعها ، يجب أن تقاطع المنسوجات البريطانية ، لأن الشركات الانجليزية سيطرت على الحياة الاقتصادية فى البلاد ، وقضت على الصناعات الأهلية وامتصت موارد الثروة الهندية ، فهى تسلب سنوياً قطن الهند ، وتصدره لها بعد حين منسوجات ، تفرض عليها شراءها بأثمان باهظة . ولكى تحمى الهند اقتصادياتها من الإنجليز يجب أن تكتفى نفسها بنفسها وتستغنى عن خدمات الغرب ، وتبادر إلى تنظيم مصانعها الأهلية ، وتتخذ من الغزل اليدوى وسيلة لحل مشكلة الفقراء فى الهند . إن ثمانين فى المائة من سكان الهند فلاحون ، لا عمل لهم خلال أربعة شهور من السنة ، وعشر الأهلين صناع جياع ، بينما الطبقة الوسطى لا تجد كفايتها من الغذاء ، وإنجلترا لاهية عن كل ذلك ، لا تعمل على معالجة هذه الحالة بل تزيدها سوءاً ، فإن الغزل اليدوى هو المنقذ الوحيد للهند من الفقر ، فإنه يشغل هؤلاء العاطلين الجائعين ويوفر لهم ملابسهم ، ويضمن لهم قوتهم اليومى بتكاليف بسيطة .

ولم يرض غاندى أن يدخل النظام الآلى فى الهنـد ، ويتخذ منه وسيلة لحل مشكلة البطالة ، لأنه لم يرد أن تصاب الهند بأمراض الغرب المادية ، وحارب من مواطنيه من يحرص على إدخال النظام الآلى فى الهند ، حتى لا يسمح لأصحاب المال بتسخير فقراء الهنود فى مصانعهم ، التى تدر عليهم الربح الوفير ، وخوفاً من أن يصبح قلب الهند من حديد بعبيد الآلة التى تدير المصانع ، وتجلب المال ذلك الوطن العظيم الذى يقدسه الغرب ، بأن الآلة مطية فاحشة ووسيلة شيطانية تسترق الشعوب لحفنة من الناس يستعبدهم المال فيجب حماية الهند من شرها ، وإبعاد خطرها عنها ، حتى لا يزداد فقر الهنود على ما هو عليه .

ولـكى يشمل عدم التعاون والغرب كل شىء ، دعا غاندى إلى مقـاطعة الطلبة والمعلمين المدارس الأميرية ، والجامعات الحـكومية ، التى فى صيانة الانجليز وتحت مراقبتهم مثل جامعة عليكرة الإسلامية ، وجامعة خلصا السيخية ، وجامعـة بنارس الهندوكية ، لأنها تهمل دراسة الثقافات الهندية واللغات القومية وتلقن الطلبة ثقافات عقلية ، ولغات أوربية ، تفسد مشاعرهم الوطنية ، وتتلف مزاجهم الشرقى ، وتبعدهم عن ثقافتهم الأصيلة فشب الهنود يفضلون ثقافات الهند ، مع أنها غرست فى نفوسهم ميولا غريبة عنهم ، وعلمتهم الجـدل واللجاجة ، وحرمتهم من التربية الخلقية والروحية ، التى تصفى القلب ، وتطهر النفس . كما نشأوا يتـكلمون اللغة الإنجليزية ، ويجهلون لغاتهم القومية ، هذا فضلاً عن تجاهل المدارس الحـكومية والجامعات الإنجليزية أهمية العمل اليدوى ، وإغفال تدريسه فى بلاد ثمانون فى المائة من أهلها فلاحون وزراع ، وعشرة فى المائة منهم صياغ ، وينشرون دراسات أدبية ، لا تفيـدهم فى حياتهم ، ولا تتفق ومصالحهم ، ولا تساعدهم فى أعمالهم . ولذلك يرى غاندى أن تعتنى شتى الهيئات التعليمية فى البلاد ، بتدريس جميع الثقافات الأسيوية التى دخلت الهند منذ القدم . لأن ضرورة معرفتها للشخص المثقف لا يقل عن ضرورة معرفة الثقـافات الغربية التى تسـيطر على الحياة العلمية فى الهند ، وتحتـكر الأسواق الثقافية ، وتقضى على رغبة الهنود فى تعلم ثقافات الهند الأصلية ، مع أنها أصلح لهم من أية ثقـافة أخرى ، لأنها تتفق وميولهم الفـكرية ، وتهتم بالتربية الروحية والتثقيف الأخلاق ، فوق أن دراسـتها يحيى العزة القومية ، وينمى روح الهنود المعنوية ، فينبغى أن يبحث مفـكرو الهند عما فى السنسكريتية والعربية والفارسية والبالية والماجدية من مخلفات علمية ، لعل بحثها يهدى إلى كشف ثقافات جديدة مبتـكرة ، تستمد أصولها من هذه الثقافات التى دخلت الهند ، وأثرت فيها ، وتأثرت بها ، وتشييد حضارة حديثة من مختلف الحضارات التى فعلت فى الهند وانفعلت بروح الإقليم . لتحرر العقلية الهندية من سيطرة الفكر الغربى ، وتنقذ روح الهند من نفوذ الثقافة الغربية ، وتظهر تفوق الهنود فى الروحية . كما تهدى دراستها إلى إدراك أسرار السيادة الوطنية ومعرفة وســـائل السؤدد القومى ، التى تقودها إلى الحرية والاستقلال .

(للـكلام بقية)

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية
بكفر الزيات

غنـــاء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

وظن بعض الشعراء غناء الحمامة نوحاً لفقد إلفها الذى فارقها فأخذ يطارحها الزفرات ويواسيها بنواحه قال الشبلى .

رب ورقاء هتوف فى الضحى ... ذات شجو صدحت فى فنن[1]
ذكرت إلفاً وعيشاً سالفا ... فبكت حزنا فهاجت حزنى
فبـكائى ربمـا أرقها ... وبـكاها ربمـا أرقنى
ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمنى
غـير أنى بالجوى أعرفها ... وهى أيضاً بالجـوى تعرفنى
أتراها بالبـكا مولعة ... أم سقاها البين ماجرعنى

وقال ابن عبد ربه .

فكيف ولى قلب إذا هبت الصبا ... أهاب بشوق فى الضلوع دفين
ويهتاج منه كل ما كان ساكنا ... دعاء حمام لم تبت بوكون[2]
وإن ارتياحى من بكاء حمامة ... كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الأيك[3] لما تجاوبت ... حزين بكى من رحمة لحزين

وقال ابن سنان الخفاجى .

وهاتفة فى البان[4] تملى غرامها ... علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة ... وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجى قلوب العاشقين حنينها ... وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ... لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال مجنون ليلى .

ألا يا حمامات اللوى[5] عدن عودة ... فإنى إلى أصواتكن حزين
فعدت فلما عدن كدن يمتننى ... وكدت بأشجانى لهن أبين

(١) غصن . (٢) عشش . (٣) الشجر الكثير الملتف
(٤) البان شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دهن طيب واحدته بانه ويشبه به القد لطوله واعتداله .
(٥) اللوى ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقه .

فلم تر عينى مثلهن بواكيا ... بكين ولم تذرف[1] لهن عيون

وقال ابن عبد ربه .

ونائح فى غصون الأيك أرقنى ... وما عنيت بشىء ظل يعنيه
مطوق بخضاب ما يزايله ... حتى تزايله إحدى تراقيه[2]
قد بات يشكو بشجو ما دريت به ... وبت أشكو بشجو ليس يدريه

وقال شيبانى وقد طالت غربته فى الرأى .

وأرقنى بالرى نـوح حمامـة ... فنحت وذو الشوق الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخى مهامه فيح[3]
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد[4] ففيم تنوح ؟
أفق لا تنح من غير شىء فإننى ... بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت[5] غربة دار زينب ... فها أنا أبكى والفؤاد جريح

وقال ديك الجن .

حمائم ورق فى حمى ورق خضر[6] ... لها مقل تجرى الدموع ولا تجرى
تكلفن إسعاد الغريبة أن بكت ... وإن كن لا يدرين كيف جوى الصدر

وقال ابن دريد خرجنا من عمان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة فنظرت فإذا فاختتان[7] تزقوان[8] فى فرعها فقلت .

أقـول لورقا وين فى فرع نخلة ... وقد طفل[9] الأمساء أو جنح[10] العصر
وقد بسطت هاتى لتلك جناحها ... ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة ... وما دب فى تشتيت شملكما الدهر

(١) ذرف الدمع سال وذرفت العين دمعها أسالته .
(٢) الترقوة العظم الذى فى أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق والجمع تراقى . (٣) المهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر جمعه مهامه ، وفيح جمع فيحاء أى واسعة .
(٤) المياد الكثير التمايل والاهتزاز . (٥) بعدت .
(٦) ورق جمع ورقاء كحمر جمع حمراء والورقاء هى الحمامة أو التى يضرب لونها إلى الخضرة .
(٧) الفاختة نوع من الحمام البرى (كذا فى المنجد) وإن كنا فى العراق نطلقه على حمام النخيل . (٨) زقا الطائر صاح .
(٩) طفل دخل فى الطفل وهو قبيل غروب الشمس حنا طفلت الشمس دنت للغروب . (١٠) جنح الليل أقبل .

فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه ... على أنه يحكى قساوته الصخر

وقال عبد البر الفسانى يخاطب طائراً مفرداً ضم أفراخه إليه .

أعدهن ألحاناً على سمع معرب
يطارح مرتاحا على القضب[(١)] ممجا

وطرغير مقصوص الجناح مرفها ... مسوغ أشتات الحبوب منعما
تخلى وأفراخا بوكرك نوماً ... ألا ليت أفراخى معى كن نوما

وقال حميد بن ثور الهلالى .

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت (ساق حر) نزهة وترنما
تغنت على غصنى عشاء فلم تدع ... لنائحة من نوحها متألما
إذا حركته الريح أو مال ميلة ... تغنت عليه مائلا ومقوما

قال الجوهرى الحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك وقال الأصمعى إن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة والخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها ونقل الأزهرى أن الحمام كل ماعب وهدر وإن تفرقت أسماؤه والعب شدة جرع الماء من غير تنفس .

وقال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الدميرى فى (حياة الحيوان) الورشان هو ساق حر وهو ذكر القمارى وسمى ساق حر حكاية لصوته .

وقال أمين المعلوف الحمام الكثير فى مدن العراق والذى يألف المساجد يدعى الحمام الطورانى ويسمونه فى مصر الحمام الأزرق .

وقال ابن سنان .

أتظن الورق فى الأيك تغنى ... إنها تضمر حزناً مثل حزنى
لا أراك الله نجداً بعدها ... أيها الحادى بها أن لم تجبنى
هل تباريني إلى بث الجوى ... فى ديار الحى نشوى ذات غصن
هب لها السبق ولكن زادنا ... أننا نبكى عليها وتغنى

وقال الأرجانى .

ومما شجانى وقد ودعوا ... بكاء الحمام على ساقها
تنوح على بعد آلافها ... وتظهر مكنون أشواقها

لبسن حداداً ومزقنه ... فلم تدخر غير أزياقها[(١)]
وضاقت صدوراً بأنفاسها ... ففضت مجامع أطواقها
وقد نزفت[(٢)] فى الهوى دمعها ... فلم يبق ماء بآماقها[(٣)]

وقال بعض الأعراب .

وقبلى أبكي كل من كان ذاهوى
هتوف البواكى والديار البلاقع[(٤)]

وهى على الاطلال من كل جانب ... نوائح ما تخضل[(٥)] منها المدامع
مزبرجة الأعناق غر ظهورها ... مخطمة بالدر خضر روائع

مزبرجة من الزبرج وهو الزخرف والزينة ومخطمة من الخطم وهو منقار الطائر أو من خطمه بالخطام أى جعله على أنفه وهو حبل يجعل فى عنق البعير يثنى فى خطمه أى مقدم أنفه وفمه .

ترى طرراً بين الخوافى كأنها ... حواشى برد زينتها الوشائع

الوشائع جمع وشيعة وهى الطرائق فى الثوب والخوافى ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

ومن قطع الياقوت صيغت عيونها
خواضب بالحناء منها الأصابع

وقال الشبيبى من شعراء العراق اليوم .

يشكو الصبابة كل يوم مدع ... وأحقنا دعوى بها من ذاقها
لو أنصفت تلك الحمائم لوعتى
نضت[(٦)] الخضاب ومزقت أطواقها
يا هذه حتى الغصون لما بها ... نثرت على وجه الثرى أوراقها
مثل التى لزم الخفوق جناحها
أصبحت مرتكض[(٧)] الحشا[(٨)] خفاقها

وقال الشرقى وهو شاعر عراقى يخشى اليوم أن يطبع ديوانه لما فيه من ثورات فكرية على السياسة والاجتماع دفعه فى تياراتها جموح الشباب ومال به عن تبعاتها حذر الشيخوخة وهواجسها

---

(١) القضب كقفر كل شجرة طالت واسترسلت أغصانها والقضب أيضاً شجر تتخذ منه القسى وأيضاً الأغصان المقطوعة الواحدة قضبة .

(١) الزيق من الثوب ما أحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب والجيب من القميص طوقه وعند العامة الجيب هو كيس يخاط فى جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج وليس هذا المراد من تعريف الزيق .
(٢) نزف عبرته أنفدها . (٣) الموق مجرى الدمع من العين
(٤) القفار . (٥) ندي وابتل .
(٦) نضا الثوب عنه نزعه وخلعه .
(٧) ارتكض تحرك واضطرب
(٨) الحشا ما انضمت عليه الضلوع .

أنا يا حمامات الأراك مفرد   لكن برغم حلاك لا أنطوق
طوباك خلصك الجناح فما استوى   روح مقيدة وروح مطلق
ضاعفت وجد الحائرين فليتهم   إذ لم يكونوا طائرين تملقوا

وقال أيضاً .

حمام الدير هل في الدير رهط   يدل الظامئين على الزلال

وقال السيد حيدر الحلي وهو من شعراء العراق الذين توخوا الجزالة وروعة السبك وكان معجباً به شوقي (رحمهما الله) فيما تحدث الرواة وجل شعره في رثاء سيدنا الحسين وباقي شهداء كربلاء رضوان الله عليهم .

وادعت حولى الشجاذات طوق   مات منها على النياح الهجوع
شاطرتنى بزعمها الداء حزنا   حين أنت وقلبي الموجوع(١)
يا طروب المشي خلفك عنى   ما حنيني صــبابة وولوع

وقال الأخرس البغدادى .

يا ورق أين غرام قلبك من شج   جمل النواح لشجوه معتادا
أو تشبهين الصب عند نواحه ؟   ولقد بخلت بدمعيك وجادا

وقال محمد سعيد الحبوبى من المتأخرين وهو شاعر بلغ الغاية في رقة الغزل وقد جارى الأندلسيين في موشحاتهم فأتى بالبدائع وفى آخر حياته رحمه الله رفع لواء الجهاد المقدس ومات مسموما في حروب العراق ضد العدوان .

أحمامة الوادى عداك هوى   لو حل فرعك أحرق الفرعا
أنى اتخذتك لى منادمــــة   ولقد شربت فغردى سجعا

وقال :

يا حمام الدوح(٢) بالله أعد   سجعك اليوم لصب(٣) وأجد
إن تكن مثلى مهجوراً فزد   ربما يطفى غليلى(٤) ربما
سجعك اليوم بلحن مطرب

يا حماماً أن في وادى العقيق   لا أرى لى غيرك اليوم صديق
فتى من سكرة الحب تفيق ؟   وإلى ما فيه تخشى اللوما ؟
وتراعى نظرة المرتقب ؟

يا حماما لم ترعـــه بالفراق   جيرة تعقد بالهجر النطاق(١)
أنت والغصن بضم وعناق   وبأسر الريم(٢) أصبحت وما
دفعت عنى سرايا العرب

وله من موشحه أخرى .

وحمــام البشر غنى وتلا   ســير(٣) اللهو ينادى الطرب
قد رقى منبر بان واعتلى   في مروج كروج(٤) الذهب
فهو لا ينفك يعلى الملا   أعنقت بالحزن عنقا مغرب
بفنا ناهيـك(٥) فيه من غنا   خمرة اللهو به لم تمـــزج
أترى معبد القى الــبدنا   لحمــام السقط والمنعرج

أعنق أسرع والعنق نوع من السير وعنقاء مغرب طائر معروف الاسم مجهول الجسم وقيل طائر يبعد في طيرانه وكنى بذلك عن عدم وجود الحزن والدن خمس طرائق من الغناء اخترعها نفسه وسبب تسميتها بذلك أن قتيبة أحد الفاتحين في أخريات القرن الأول من الإسلام فتح خمس مدن في إحدى غزواته فقيل لمعبد المغنى ذلك . فقال وأنا اخترعت خمس طرق من الأغاني تعادل عندى تلك المدن الخمس راجع الكامل المبرد تجد تفصيل ذلك والسقط معظم الرمل والمنعرج منعطف الوادى .

وقال محمد مهدى الجواهرى شاعر العاطفة الفياضة والوصف الرائع ومتزعم الفكرة التقدمية في العراق :

وهاتفــه راعها مقدمي   فلاذت بأغصانها الميل
أيا ورق لا تذعرى إننا   شربنا المواطف من منهل

وقال ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟   لقد زادنى مسراك وجداً على وجد
أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن
جزوعا وأبديت الذى لم تكن تبدى

(١) قال الفيروزبادى في القاموس وجع كسمع ووعد لغية يوجع وييجع (على وزن يسمع) ويجع (على وزن يعد) فهو وجع كخل جمعه وجعون ووجاعى ووجاع وأوجاع . واسم المفعول يجيء بصيغتين موجع وموجوع .
(٢) الدوح جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة .
(٣) العاشق وذو الولع الشديد .
(٤) العطش الشديد وحرارة الحب أو الحزن .

(١) النطاق ما يشد به الوسط .
(٢) الريم الظبي الخالص البياض . (٣) جمع سيرة .
(٤) المرج الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيه الدواب أى ترعى فيه
(٥) يقال ناهيك بزيد فارساً في مقام التعجب والإستعظام بمعنى أنه غايته في تطلبه ينهاك عن تطلب غيره وهذا رجل ناهيك من رجل كلمة يتعجب بها في مقام المدح ثم كثر حتى استعمل في كل تعجب .

وقال الخباز البلدى :

ذرى شجر للطير فيها تشاجر كأن صنوف النور فيها جواهر
كأن القمارى والبلابل فوقها قيان[١] وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة[٢] كأن على حافاتهـا الدر دائر

وقال محمد بن على العاملى :

فى ربوع كأنهن جنان عطفت جورها على الولدان
ورياض كأنهن سماء أطلعت أنجماً من الأقحوان[٣]
بين ورق كأنهن قيان ركبت فى حلوقهن المثانى[٤]
وغصون كأنهن نشاوى يترقصن عن قدود الغوانى

وقال ابن خفاجة :

وإذا كم سجع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطـافها ولربمـا خلعت عليه ملاءة الأنوار[٥]

وقال ابن وكيع :

غرد الطير فنبـه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من ثوب الغلس[٦]

وقال أبو الحسن الجريطى :

ألا حبـذا نوح الحمـامة سـحرة
وقد شق جيب الليل عن لبـة الفجر[٧]
وسال نجيع[٨] الفجر من ثغرة الدجى[٩]
وخمش[١٠] ثـكل الليل من صفحة البدر

وقال السرى الرفاء :

وصاحب يقـدح لى نار السُرور بالقـدح
فى روضـــة لبست من لؤلؤ الطل سبح
يألفنى حمامـــا مغتبقاً ومصـطبح
أوقظـه بالعزف أو يوقظنى إذا صـدح
والجو فى ممسـك طرازه قوس قـدح
يبـكى بلا حزن كما يضحك من غير فرح

غير أن المعرى يتردد فى شكوكه قائلا :

أبكت تلـكم الحمامة أم غنـ ـت على فرع غصنها المياد ؟

وقد أصاب فى تشككه وعدم اعتباره غناءها نواحاً كما ظن كثير من الشعراء ولـكنه فاته أن الغناء من الذكور وليس من الأناث كما أوضح ذلك دارون وعلماء الطبيعة الآخرون إلا إذا اعتبرنا التأنيث هنا لفظياً قال فى المنجد الحمام طائر معروف والواحدة حمامة ويقال حمامة للذكر والأنثى لأن الهـاء هنا ليست للتأنيث بل للدلالة على أنه واحـد من جنس وربما قالوا حمام للواحد جمعه حمائم وحمامات .

وقال بعض الأندلسيين :

انظـر إلى النهر فيهـــا ينســاب كالأفعوان
والطـــير تخطب شكراً على ذرا الأغصـان
والقضب تلتف سـكراً بمـائس القضـبان
والروض يفـتر زهـواً عن مبسم الأقحوان
والنرجس الغض يرنو لو جنـــة النعمان

وقال الشرقى من قصيدة احتفال الطيور :

ما ترى أيها الحمام الـكئيب ؟ كل شىء حتى الحجارة باسم
كل آن هزيمة وهروب أحياة الطيور مـلأى هزائم
قال لى وهو خائف مستريب الخـوافى تهيب بى والقوادم
عجبـاً كيف يطمـئن الأريب لأناس تخاف منهـا البهائم ؟

قال السيد على خان فى كتابه (أنوار الربيع فى علم البديع) فى فصل الاستعارة وكان شديد التهور كثير البطش ذاهباً بنفسه كل مذهب قال ابن سعيد صاحب القدح المعلى سمعته مرة وهو فى محفل يقول يقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى ، وفى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه ، فأهوى له شخص له قحة وإقدام فقال : يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعنى إلا نفسك . قال نعم ولم لا ؟ وأنا الذى أقول ما لم يتنبه له متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر .

---

(١) القينة المغنية جمعها قيان .
(٢) الخمرة قيل سميت الخمر بذلك لأن شاربها يقهى عن الطعام أى تقل شهوته له .
(٣) الأقحوان نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان .
(٤) مثنى وهو ما بعد الأول من أوتار العود .
(٥) الملاءة ثوب يلبس على الفخذين والأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر أو الأبيض منه (٦) الغلس ظلمة آخر الليل .
(٧) اللبة موضع القلادة من الصدر .
(٨) النجيع من الدم ما كان مائلا إلى السواد .
(٩) الثغرة نقرة المنحرين الترقوتين (١٠) خمش الوجه خدشه ولطمه

الشعر بين الوثنية والإيمان

للأســـتاذ عطية الشيخ

لاحظ نقاد الأدب العربي من قبل خمود الروح الشاعري بين العرب إثر ظهور الإسلام ، وإن الضعف الذي طرأ على الشعر لا يقتصر على الشعراء الذين ظهروا إبان عصر النبوة والخلفاء الراشدين فحسب ، بل أدرك الشعراء المخضرمين أنفسهم ، فسكت مكثرهم وضعف قويهم .

واتخذ هؤلاء النقاد من الموازنة بين شعر لبيد وحسان في الجاهلية والإسلام برهاناً على صدق دعواهم ، وعللوا ذلك بأسباب شتى منها : انبهار شعراء الجاهلية ببلاغة القرآن الذي أفحمتهم فصاحته ، ومنها تغير الموضوعات التي اعتادوا النظم فيها بعد أن أصبحت منكرات يحرمها الإسلام : كالفخر بالنسب ، وتمجيد العصبية ، والحض على الثأر ... الخ ، ومنها اشتغال العرب بالحروب ضد الإسلام أولا ، ولنشر سلطانه في الآفاق بعد أن آمنوا به ثانياً ؛ ومنها أن الشعراء المخضرمين أدركوا الإسلام في شيخوختهم فشاخ شعرهم وخبت أرواحهم ، كما شابت وضعفت جسومهم ؛ ومنها أن القرآن العظيم نال من قدر الشعر والشعراء في مثل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ... الآيات » ، إلى غير ذلك من العلل المعروفة لطلاب الأدب .

وعندي أن هذه الأسباب مع وجاهتها إنما هي أعراض لعلة كبرى ، وأن ما لاحظه نقاد الأدب العربي لا ينحصر في عصر صدر الإسلام وحده ، ولا في شعراء العربية فحسب ، وإنما هو حالة عامة للشعر والشعراء في كل زمان ومكان ، خلاصتها أن الوثنية والزندقة والإباحية من عوامل نمو الشعر ، وأن الإيمان والاستقامة والفضيلة من عوامل ضعفه ، وأن البيئات الوثنية أخصب للشعر من بيئة الإسلام والإيمان بمعناها الأعم ، وبذلك تستطيع أن تعلل فحولة الشعراء الوثنيين في الهند عن الشعراء المسلمين هناك مع اتحادهم في البيئة والجنس ؛ وخلو أوربا في العصور الوسطى أيام تغلب سلطة الكنيسة من شعراء مجيدين كهوميروس قبل المسيحية وكهيجو وجوته بعد عهد الإحياء ، وتغلب روح الشك وضعف الكنيسة ، وعدم ظهور شاعر يهودي يؤبه له لمراقة هذا الشعب في الإيمان بتعاليم دينه ، وجمال شعر الأندلس وقوة خياله في عصر ملوك الطوائف بعد ضعف الشعور الديني وشيوع التحلل والإباحية ، وظهور شعراء مجيدين في لغة الضاد بعد غزو الآداب والعقائد والعلوم والجيوش الأوربية للبلاد غزواً زعزع الإيمان بالقديم ، وضعف الشعر العربي في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وقوته قبل ذلك العصر في الجاهلية ، وبعده في أيام الأمويين والعباسيين عند ما ضعف الوازع الديني ودخل في حمى الدولة الإسلامية كثير من الشعوب الأعجمية ، وأشاعوا في العرب عاداتهم وعقائدهم وتقاليدهم وأمراضهم الاجتماعية ؛

يا هل ترى أظرف من يومنا   قلد جيد الأفق طوق العقيق
وأنطق الورق بميدانهـــا   مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى   في الروض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان ، وردوه من الغيظ إلى أضيق مكان . فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدتني من هذا النمط فأنشد :

أدرها فالسماء بدت عروساً   مضمخة الملابس بالغـــوالي
وخد الروض أحمره صقيل   وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق في لآل   تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت زد وعد ، فعاد والارتياح قد ملك عطفه ، والتيه قد رفع أنفه ، وأنشد :

لله نهـــر عنـــد ما زرته   عاين طرفي منه سحراً حلال
إذ أصبح الظل به ليـــلة   وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشـد :

فلما ماج بحر الليـــل بيني   وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم إنسان عيني   فمد له النـــام عليه جسرا

فقلت إيه ! فقال :

ولما أن رأى إنســـان عيني   بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسراً   كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد ، فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها ثم أنشد :

هـات المدام إذا رأيت شبيهها   في الأفق يا فرداً بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله   فغدت تخاصمه الحمائم فيـــه

(بغداد) ضياء الدخيلي

وعدم ظهور الشعراء الكبار فى روسيا السوفيتية لإيمان الروس العميق بمبادئ الشيوعية واتخاذهم منها ديناً هم أحباره وحواريه ؛ ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها :

١ — الشعر فن جميل يتأثر بالعاطفة وينبع منها ، ويؤثر فيها ، ويقف عندها ؛ والإيمان مرتبة تتجاوز العاطفة إلى الفكر والإرادة ، وهو نوع من المعرفة والتفكير محصور فى نطاق العقيدة والناموس ، ومتى تحكم العقل وأحيط بالفكر وقويت الإرادة وأخلد القلب إلى يقين العقيدة ، فلا مجال لخيال ولا جموح لعاطفة ، والحب جميعه موجه للمعبود المعلوم المجهول ... ولذلك تزدهر الفنون الجميلة كلها — لا الشعر وحده — فى الوثنيات أكثر من ازدهارها فى ظلال الإيمان واليقين ، وكنف الإسلام والتوحيد ، فالنحت والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل والأناشيد أسس وأصول للديانات الوثنية وطقوسها ، وليس الأمر كذلك فى الإسلام واليهودية والنصرانية ، وإذا رأيت فى هذه الأديان شيئاً من ذلك ، فهو أثر من آثار الوثنيات السابقة للأمم التى اعتنقت هذه الأديان .

٢ — يعلم الشادون فى الأدب أن الاشتغال بالعلم والفلسفة يضعف الشاعرية ، وأن شعر الفقهاء والفلاسفة والعلماء خال من الجمال الفنى ، يكاد يفوح منه ثقل الفقه ، وجفاف العلم ، وتعقيد الفلسفة ، ذلك لأن الإنسان يعسر عليه أن يعيش فى حياتين فكريتين مختلفتين : إحداهما يسودها التفكير المنطقى ، وأخراهما يسيرها الوجدان والعاطفة ، ولأن ألفاظ أية لغة من اللغات قسمان قسم محدود المعنى محصوره ، وقسم يشتمل بجانب معناه الأساسى على معان فرعية يثيرها فى النفس جرس حروفه ، أو لفظ آخر متناسق معه فيها ، أو أصل المادة التى اشتق منها هذا اللفظ ، أو دلالته على معنيين ، فيراد أحدهما أصلا ، ويبقى الآخر فرعاً .

والأصل فى الأسلوب العلمى أن يستعمل الألفاظ المحدودة المعانى ، كما أن الأصل فى الأسلوب الأدبى أن يستعمل الألفاظ ذات المعانى الفرعية ، وقد أشار علماء اللغة إلى المعانى الفرعية حينما ذكروا أنه لا يوجد فى المترادفات لفظان متحدى المعنى تماماً وإنما تكون بلاغة الشاعر فى تجنب الألفاظ المحدودة الصلدة القاحلة ، وتتبع الألفاظ ذات الظلال التى تضم إلى أصل معناها فروعاً وأغصاناً وأوراقاً وأزهاراً تكسب الشعر حياة وجمالاً وحركة وتصبغ عليه السمو ، وقد لاحظ ذلك قديماً بعض أدباء الأندلس ، وإن كان لم يعلل السبب ولم يزد عن ملاحظة أن بين الحروف أنساباً وقرابات تجمل لفظاً فى الشعر أجمل من لفظ آخر متحد معه فى معناه ، ومثل لذلك بكلمة «خفافا» فى قول الشاعر:

لعمرك إنى يوم بانوا — فلم أمت خفافا على آثارهم — لصبور

فذكر أن كلمة « خفافا » لها من الجمال الفنى، ما لا تصلح له كلمة « سريعاً » .

٣ — ذكر علماء النفس أن النمو فى أية ناحية من نواحى العقل الثلاث « الفكر والإرادة والعاطفة » يضعف الناحيتين الأخريين ، بمعنى أن التفكير الكثير يضعف العاطفة والإرادة ، وضربوا لذلك مثلا : الفيلسوف الذى حضر فى أخريات أيامه حفلة موسيقية فلم يفقه لها معنى ، ولم تتحرك لها مشاعره ، ولم تتأثر بها عواطفه ، فنذر أن لو عادت حياته كرة أخرى لخصص جزءاً من وقته لممارسة الفنون الجميلة ، كما ذكروا أن الإرادة تضعف العاطفة ، واستنبطوا أن قواد الجيوش لا شفقة عندهم ، وأن المرأة تطغى عاطفتها على التفكير فيكون ضعيفاً فيها .

والإيمان فلسفة يقينية لا يقوم معها شك ، ولا ينبت فى مرعاها مستحيل ، ولها منطق خاص يسيطر على ملكات النفس وقواها ، فلا يبقى لغيره مجال ، ولا يزحمه شعر ولا فن إلا ما يتصل بمنطق العقيدة ويواءمه ، ويكون إذ ذاك شعراً محلياً لا يسيغه إلا من شارك الشاعر فى عقيدته فيفقد الجمال العبقرى للفنون الجميلة الذى يجملها لغة عامة مفهومة للناس كافة ، إذ لا يخفى أن النفوس البشرية تتحد فى إدراك الجمال الرائع ، بحيث ترى أن التماثيل والقصائد والتصاوير والقطوعات الموسيقية العالية مقدرة عند جميع الشعوب ، محترمة فى كافة الأقطار والأعصار .

ومثال الشعر المحلى الجمال قصائد البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام ، فهى عند المسلمين من أروع الشعر ، مع أن غيرهم لا يحس لها بجمال .

٤ — من شأن الإيمان غرس الطمأنينة والرضا فى النفوس فترويض العواطف الجنسية الجامحة ، ومطاردة ما يساور النفس من وساوس وألم وحيرة ، وإنما ينبع الشعر من الحب والألم ، وما أحفل حياة الوثنيين والزنادقة بألم منبعه الحيرة ، والفوارق بين الطبقات والتقاليد البالية التى لا يقبلها الأديب إذا قبلها البليد ، وما أكثر دواعى الحب والهيام فى حياة زمامها بيد العاطفة والوجدان ، ولا قيود لها من فكر أو شريعة ، ولا مجال

للذة عندها إلا فى الحياة الدنيا ، ولا أمل لها فى آخرة ، فراحت تستوفى حظها من النعيم ، وتستمتع ما وسعها الاستمتاع بما فى الدنيا من جمال وبهاء ، منشدة قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

أما المؤمن ، فقد اشترى آخرته بدنياه ، وجعل حياته الأولى مجازاً لحياته الثانية ، ورأى فى جمال الدنيا مفاتن يستدرج بها الشيطان الناوين إلى مهاوى الجحيم ، وهو مطمئن إلى السعادة فى الأخرى إن فقد السعادة فى الدنيا . وقد لاحظ هيرودوت من قبل عدم نبوغ الشعراء فى مصر لخلو بيئتهم من الحب والألم .

٥ — أضف إلى ذلك أن الوثنيات إذ كانت لا تؤمن إلا بمتاع الدنيا ، فتحت الباب على مصراعيه للاستمتاع بها ، وتركت للانسان إشباع شهواته منها ، واستعانت على التمكن من القلوب بالتأثير على العاطفة ، إذ كانت عاجزة عن البقاء باستعمال الفكر والمنطق ، فأصبحت تربة خصيبة لنمو الفنون الجيلة التى منها الشعر أما أديان التوحيد ، فقد استعانت فى انتشارها بالدليل والبرهان إذا كانت قادرة على ذلك ، بل إن روح الإسلام يدعو إلى النظر والتفكير ويجافى الفنون الجيلة كلها من شعر وتصوير وتمثيل وغناء وموسيقى ونحت ، وكان أتقياء المسلمين ينظرون إلى محترفيها نظرة استنكار قد تصل إلى المقاومة والمحاربة .

٦ — معلوم أن العواطف تنشأ فى الفرد قبل نشوء الفكر ، وأن عبادة آلهة متعددة تنشأ قبل عقيدة التوحيد ، وأن الإنسان كلما تقدم خرج من حكم العاطفة إلى حكم الفكر ، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد ؛ ومثل ذلك تماماً فى الأمم إذ يسبق عصرها الوثنى عصر التوحيد فيكون مسايراً للعاطفة لا للفكر ، حتى تصل الأمة إلى طور التفكير والإيمان ، ولهذا يكون العهد الوثنى معاصراً العهد العاطفى فى الأمم ، ولهذا أيضاً نجد شعر الشاعر الواحد فى شبابه — أيام تأجج العاطفة — أقوى من شعره فى شيخوخته عندما ينضج تفكيره .

عطية الشيخ

وزارة المعارف العمومية

مدرسة المعلمين العليا — إعلان

تعلن مدرسة المعلمين العليا أن آخر موعد لقبول طلبات الطلبة المستجدين من الناجحين فى شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص دور أول سنة ١٩٤٨ والذين يرغبون اللحاق بأقسام الرياضة ، اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية ، هو يوم ٢٥/٩/١٩٤٨ على أن يراعى الآتى : —

١ — يشترط لقبول الطالب بقسم الرياضة أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الرياضة سنة ١٩٤٨ .

٢ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الإنجليزية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٤٨ وأن يكون مجموع درجاته فى اللغة الإنجليزية لا يقل عن ٦٠ ٪ من نهايتها العظمى .

٣ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الفرنسية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية بإحدى الشعب الثلاث سنة ١٩٤٨ قسم اللغة الفرنسية ويجوز قبول طلبة القسم الإنجليزى بشرط أن يكون الطالب حائزاً على ٦٠ ٪ أو أكثر من درجة اللغة الفرنسية ويشترط أن ينجح فى امتحان لهذه اللغة تعقده المدرسة يوم ١١ / ١٠ سنة ١٩٤٨ .

٤ — ويشترط لقبول الطالب بالأقسام الثلاث : —

(ا) ألا يزيد سنه على ٢١ سنة فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

(ب) أن ينجح فى الكشف الطبى وفى الاختبار الشخصى اللذين يعقدان بالمدرسة يومى ٢٩ ، ٣٠ / ٩ سنة ١٩٤٨

٥ — يمنح الطالب المقبول مكافأة دراسية قدرها ٢٤ جنيهاً فى السنة إذا كان مجموع درجاته فى امتحان الشهادة التوجيهية لا يقل عن ٦٠ ٪ من المجموع الكلى للدرجات .

فعلى راغبى اللحاق بإحدى أقسام المدرسة أن يقدموا طلباتهم إلى حضرة المدير العام لمدرسة المعلمين العليا بالأورمان — جيزة — على استمارة ٣٤ د . م مصحوبة بشهادة الميلاد أو صورتها الرسمية وبالاستمارة البيضاء الدالة على النجاح فى الشهادة التوجيهية ومجموع الدرجات ، بالتعهد المطلوب الذى يصرف من المدرسة بالمجان موقعاً عليه من الطالب وولى أمره

١٦٤

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اقتراح للإذاعة:

عادت الإذاعة أخيراً إلى برنامج « أعلام الأدب العربي » الذى كانت قد بدأته ثم قطعته منذ شهور . وهى تجرى فى هذا البرنامج على تقديم البارزين فى تاريخ الأدب العربى ابتداء من العصر الجاهلى ، كامرئ القيس والأعشى وعنترة والمهلهل والنابغة الذبيانى ، وتختار للتحدث عنهم كبار الأساتذة ، تعين لكل منهم من يتحدث عنه . وقد لوحظ أن الأساتذة المتحدثين يسلكون فى تقديم تلك الشخصيات المسلك التقليدى المعروف فى كتب تاريخ أدب اللغة العربية المتداولة فى المدارس وغيرها ، وقد وفى مؤلفو هذه الكتب تلك الشخصيات من الدراسة ما يربو على المطلوب للاذاعة ، فلا يحتاج تقديمها للمستمعين إلى كبير عناء .

وفى الإذاعة برنامج آخر يشبه هذا البرنامج فى شهرة أعلامه وقرب منالهم ، هو برنامج « أعلام الإسلام » ويقدمه أيضاً كبار الأساتذة .

وأضم إلى ذينك البرنامجين أحاديث الصباح الدينية التى يقدمها الأعلام من علماء الأزهر ، وهى مثلهما فى سهولة الإعداد ووفرة المصادر ، فقد جرى هؤلاء الأساتذة على أن يشغل متحدثهم خمس دقائق بشرح حديث من الأحاديث النبوية الشريفة ، المختارة من كتب الحديث المعروفة وهى مخدومة فى شروح وافية

تلك البرامج الثلاثة لها قيمتها الأدبية والعلمية والدينية ، ولها أثرها فى التثقيف والتقويم والتهذيب ، فلا يتبادرن إلى ذهنك أنى أهون من أمرها بذلك الوصف ، إنما أقصد إلى الاقتراح التالى :

أرى أن تطلب الإذاعة إلى كليات الجامعة وكليات الأزهر ، أن تختار لها من طلبتها من يصلحون لتقديم تلك البرامج ؛ ولا شك أن الطلبة الذين يختارون لن يجدوا أية صعوبة فى القيام بهذا العمل لتوافر المصادر وخاصة المؤلفات الحديثة المنظمة السهلة الأسلوب .

ولهذا الاقتراح ثلاث فوائد : الأولى تدريب الشباب وإفساح المجال أمامهم ، ولا بد أن تظهر من بينهم « وجوه جديدة » فمن العدالة إتاحة الفرص لمواهب الناشئين . الثانية مساعدة الطلبة على مواجهة أعباء المعيشة وخاصة فى هذه الآونة التى استشرى فيها الغلاء . الفائدة الثالثة لخزانة الإذاعة ، فإن الطالب يكتفى بجنيه واحد تدفعه إليه بدلا من عشرة لأحد الكبار الذين لن يغضبهم أن ينتفع أبناؤهم مهما كانت تضحيتهم .

وهذا الاقتراح أقدمه بالمجان لإدارة الإذاعة ، فلا أكافها ما يتقاضاه منها عضو بالمجلس الأعلى لقاء جلسة يقترح فيها مثل هذا الاقتراح ، وهذه فائدة مادية ثانية للاذاعة . ومن الله الأجر والثواب .

ارسمى شجرة الزقوم :

نشرت جريدة « الأساس » مقالا بتوقيع « أمين صفوت » حمل فيه على صعوبة الامتحانات ، وأورد أمثلة من الأسئلة الصعبة ، منها سؤال فى الرسم لطالبات السنة الثانية بالمدرسة السنية ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم . ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ...

« ارسمى ما تتخيلينه بعد قراءة الآيات السابقة عن الجحيم وشجرة الزقوم وعذاب المجرمين فى الآخرة »

فماذا يتخيل هؤلاء الطالبات المسكينات عن الجحيم وشجرة الزقوم وما عليها من رءوس الشياطين ؟ إنه لخيال لو قرأناه فى « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، أو فى « الكوميديا الإلهية » لدانتى اللاجيرى — لعددناه من الإعجاز الأدبى ، فما بالك بطالبات فى أول المرحلة الثانوية يطالبن بهذا الخيال ورسمه؟

ويدافع بعض أساتذة الرسم عن مثل هذه الأسئلة بما هو أعجب منها ، فيقولون إنهم لا يريدون أن يقفوا بفن الرسم عند « القلة والزير » وإنما يريدون أن يروضوا الطلاب على التعبير عن العواطف وتصوير الانفعالات ، أوهم يريدون على الحقيقة أن يأتى الناشئون بالخوارق والمعجزات فيصورون عالم الغيب غير مكتفين بعالم الشهادة ...

ولو أن هذا النمط من الأسئلة أو من تعليم الرسم ، يؤخذ به طلاب تحققت لديهم الميول الفنية ، لهان الأمر ؛ ولكنهم في تعليم عام يحتشد فيه الجميع من ذوي الميول والاستعدادات المختلفة ، وليس يطالب من جميعهم أن يكونوا فنانين في الرسم مقتدرين على التعبير والتصوير ، بل يكفي في هذا التعليم العام أن تفرض الأصول والخطوط الأولى في الرسم . وليس تكليف الناشئ العادي أن يكون فناناً معبراً في الرسم ، إلا كمطالبته بإنشاء قصيدة من الشعر أو كتابة موضوع من الأدب الرفيع أو قصة من القصص الإنساني ، وليس كل ذلك إلا كمطالبته بإضافة أو وضع نظرية في العلوم الطبيعية ، وقل مثل ذلك في سائر ما يتلقاه من العلوم والفنون .

أما بعد فقد سمعنا أن مشيخة الأزهر ستنشئ معهداً للبنات ، وإني أشير عليها أن تستعير من المدرسة السنية الأستاذ الفاضل الذي وضع سؤال « شجرة الزقوم » وتسند إليه تدريس « رسم مشاهد القيامة » لبنات المعهد الأزهري لأنهن سيكن ، بمشيئة الله ، أقدر من تلميذات السنية على الخيال المستمد من آيات القرآن الكريم

وهذه الصحافة :

ذكرت في الأسبوع الماضي أن أعضاء اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية ، اشتكوا في أثناء الاجتماع الذي نظروا فيه مسألة ترقية السينما العربية من أن الأفلام العربية ليست في المستوى الراقي الذي ينشد منها وأنها تنافي أحياناً الأخلاق العامة والمبادئ القويمة ، ورجوا توصية الحكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

ولست أرى تدخل الحكومات في ذلك مجدياً أو ناجعاً إلا أن يكون « تأميماً » وأن يكون لدى الحكومة فنيون قادرون مخلصون للعمل ، يستطيعون أن يقوموا بتنفيذ هذا التأميم على الوجه المنشود . أما بغير ذلك فإن عمل الحكومة المباشر لا يتعدى حذف ماينافي الأخلاق والآداب العامة . وها هي وزارة الشؤون الاجتماعية تؤلف اللجان للنهوض بالسينما ، فتجتمع وتنفض ، وتنظر وتقرر ، وكل شيء في السينما كما هو : أفلام بلا موضوع ، وقصص تجرد من قيمتها ، وتسلية فارغة ، ومجون مسف .. الخ

ولست أدعو إلى تأميم السينما ، فليست الحال ملائمة له ، وإنما أريد أن أقول إن الجمهور — من حيث إقباله أو إعراضه — هو أهم عامل في ترقية السينما أو استمرار تفاهتها وسخفها . وقد ثار الرأي العام المستنير على هذه الأفلام ، وبدأ الجمهور يعرض عنها إعراضاً يدخل فيه الوعي والملل من تكرر الحوادث المتشابهة ، إلى جانب سوء المعيشة . وأحس السينميون بكل ذلك إحساساً يرجى أن يؤدي إلى الأخذ في التحسن .

ثم أنتقل بعد ذلك إلى شيء آخر غير الأفلام التي شكا منها أعضاء اللجنة الثقافية كما يشكو منها الجميع ، ذلك الشيء هو نوع من الصحافة عندنا ، أقرنه بتلك الأفلام لأنه يماثلها في أن كلا منهما « دون المستوى الراقي الذي ينشد منه ، وأنه ينافي أحياناً الأخلاق العامة والمبادئ القويمة » وأقصد هذه المجلات التي لا ترمي إلا إلى كسب القراء عن طريق التسلية الفارغة والمجون المسف كالأفلام حذواً ... فكل شيء يكتب للترفيه الخاوي والإضحاك الهابط ، ولا شيء وراء هذا أو ذاك من متعة فنية أو ثقافة نافعة ، وفتيات هذه المجلات لا تقل إغراء ولا فتنة عن كواكب تلك الأفلام ، وكثيراً ما تكون هذه هي تلك ...

وإني أسأل بعد ذلك ، وأنا أنظر إلى من خلف هذه الصحف من المخرجين والمشرفين عليها : ما هي رسالتهم ؟ ويقف السؤال مشفقاً من استخذاء الجواب ... فكل ما يبغون هو الربح المادي ، أي أنه ليس لهم رسالة ثقافية أو فنية أو إصلاحية .

وننظر إلى الوراء فنعبر السنين الماضية لنرى ماكانت عليه الصحافة من قبل ، كان كل من يصدر صحيفة أو مجلة لابد أن يرمي إلى غاية من تلك الغايات ولو مكرها بدافع الحياء من الناس ... وحتى المجلات الفكاهية كانت ذات موضوع ، فلم يكن هزلها خالياً من الأهداف الجدية .

وقد تقدمت الصحافة اليوم تقدماً كبيراً يغتبط له وإن كان فيه ما يؤسف ، وهو ما يشغل بعض الصفحات من الهذيان الذي يقدم منسوباً إلى الآداب والفنون ، ثم ذلك اللون التافه المسف من المجلات التي لا غاية لها تحمد عليها .

وقد ثار المستنيرون على هذه الأفلام وازور الجمهور عنها . وهذه الصحافة لا تقل عن تلك الأفلام جدارة بالشكوى منها ... فمتى تنال من الاستنكار والإعراض ما يجعلها تحس إحساساً يؤدي إلى الأخذ في التحسن ؟

اللجنة الثقافية واليونسكو :

ختمت اللجنة الثقافية للجامعة العربية اجتماعاتها بلبنان يوم الأربعاء الماضى ، وتوجه على أثر ذلك إلى دمشق أعضاء الوفد المصرى فى اللجنة برياسة الأستاذ محمد شفيق غربال بك ، تلبية لدعوة وزارة المعارف السورية ، وعاد الوفد بعد ذلك إلى مصر .

وقد أتيت فى الأسبوع الماضى بأهم قرارات اللجنة فى الشؤون الثقافية العربية ، وكنت ذكرت قبل أن ستعرض على اللجنة فى اجتماعها بلبنان مسألة موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو وما يلابسه من طلب تأجيله وسعى اليهود للاشتراك فيه . وأذكر اليوم أن اللجنة رأت أن تسير فى طريق الإعداد للمؤتمر ، فدرست المسائل التى تتعلق باجتماعه فى بيروت وأقرت خطة المساهمة فيه وتنظيم مظاهر النشاط الثقافى والعلمى والأدبى والفنى الذى سيصحب المؤتمر طوال مدة اجتماعه ، ويطلق على هذه المدة « شهر اليونسكو » .

ثم اتخذت اللجنة قراراً يقضى بتأييد الحكومة اللبنانية فى تمسكها بعقد المؤتمر ببيروت فى موعده المحدد فى أكتوبر القادم .

ومن مصر كتب معالى السنهورى باشا وزير المعارف إلى سفير مصر فى فرنسا أن يطلب باسم الحكومة المصرية مؤازرة الحكومة اللبنانية فى خطتها بشأن عدم تأخير عقد مؤتمر اليونسكو عن موعده الأصلى وعدم تغيير بيروت كمقر للمؤتمر .

ولا يسع المتتبع للظروف المحيطة بهذا الموضوع إلا أن يتساءل : هل يجتمع مؤتمر اليونسكو حقاً بلبنان فى موعده الأصلى ؟ ويبعث على هذا التساؤل ما قرره المجلس التنفيذى لليونسكو بباريس من قبول إسرائيل المزعومة فى مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك .. وهى لابد ستطلب . ولن يقبل العرب الاشتراك فى المؤتمر وفيه الصهيونيون بأى صفة من الصفات ؟ لذلك يبدى بعض أعضاء اللجنة الثقافية شكه فى أن يتم اجتماع اليونسكو فى لبنان ما دامت المشكلة الفلسطينية قائمة .

طلائع الأدب فى الحجاز :

وقع فى يدى أخيراً كتاب « أريد أن أرى الله » فسررت به ، لأنه كتاب واحد من إخواننا أدباء الشباب بالحجاز ، وما إخال أدباء الحجاز إلا شباباً . أولئك الذين وجدت البذور الكامنة فى تلك البلاد منافذ فى ثقافتهم الحديثة ، فنبتت وترعرعت ، وجعلت تبهر الأنظار بما تؤتى من الثمرات الطيبات .

ومن أولئك الشباب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار صاحب كتاب « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة أقاصيص يفتح بها باباً جديداً فى الأدب الحجازى الحديث . وتحتوى هذه المجموعة على قصتين اختار أولاهما وهى « أريد أن أرى الله » من قصص تولستوى ، والثانية من تاجور . ثم خمس قصص مؤلفة بدت فيها موهبته وقدرته على العرض والتحليل ، وتبدو فى هذه القصص صور طريفة من البيئة المحلية ، رسمها المؤلف بدقة ، وأشاع فيها كثيراً من الظرف والدعابة .

ليس المقام للاسترسال فى الحديث عن تلك القصص ، وإنما أريد أن أعبر عن اغتباطى بنفحة من نفحات الحجاز .

من طرف المجالس :

أقبل صاحبنا فاتراً ، وأخذ مجلسه متهالكا ، ثم أرسل الصعداء ...

— مالك ؟

— محاضرة !

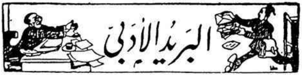
— ألست قد فرغت من إعدادها ؟

— أتظن أنى أعد محاضرة لألقيها ؟ كلا ، لقد ألقيت على محاضرة ... صبت علىّ ... إنى أعلم وقع هذه المحاضرات التى يحسب أصحابها أن ما يقولونه لا يعلمه إلا هم ، فيبدئون ويعيدون ، ويطيلون ويثقلون ، ولا يحسبون حساباً لما يشعر به السامعون من ملل وأسف لضياع الوقت . ولا أطيل عليكم كما يطيلون ، فقد رأيت بالأهرام أن الدكتور فلان سيلقى محاضرة بنادى كذا . ولست سريعاً إلى تلبية الدعوات إلى المحاضرات . ولكن الدكتور فلان محدث طلى صاحب فكرة ، وهو صديقنا ، فذهبت لألقاه هناك وأستمع إليه ساعة . فما راعنى إلا اعتذاره من عدم الحضور وقيام أحد الحاضرين ليحل محله . وانهال علينا المحاضر « المتطوع » فأطال وأمل ، وأنا أتململ ... ومنعنى الحياء أن أغادر المكان . وهكذا وقعت فى الفخ ، ومن مأمنى أتيت ...

قال له أحد الجلساء : تعيش وتسمع غيرها !

وقال آخر : لقد كانت إذن محاضرة « مبرحة » !

عباس خضر



خواطر مسجوعة :

(مهداة إلى الأستاذ حامد بدر)

فى الناس قوم لا يرون إلا الذهب ، ولا يسمعون إلا رنينه ، لا يبالى أحدهم أن يشذ الأدب ، ويبيع فى سبيل المار وطنه ودينه . همه أن يقال شجاع جرىء ، وهو — فى الحق — صغير بذىء ، أو ينال الزلفى والجاه ، وإن عفر على الأعتاب الجباه .

يتظاهرون بأنهم مصريون ، ومصر منهم براء ، ويتباجدون بأنهم الميمون ، وهم — فى الحق — رقعاء . المال أعمى أبصارهم ، وأخمد نارهم ، فأنكروا دارهم ، وتجاهلوا جارهم ، ولجأوا إلى المغالطة والكذب ، وما ألجأهم إلا الذهب .

كم ظهر الفرح على وجوههم حين تنال مصر بشر ! وكم بدت الشماتة على ألسنتهم حين يمسها الضر ! فى القلوب حقد دفين ، يخفيه الطمع فى برها ، ويظهره الطمع فى غيرها . وفى الأخلاق داء مكين ، يجعل المنفعة أساسها ، ويجعل النفاق رأسها .

مسكينة مصر ، تلقى منهم كل ضر ، يأكلون من خيراتها ، وينسبون إليها ، وهم ألد عداتها ، بل أقسى من عداتها عليها .

ومن عجب أن مصر تعرف كل ذلك ، ولكنها تغض الطرف عما هنالك . فى الصحف طعن عليها وسباب ، وفى المجالس نيل منها واغتياب ، ولكن الكرم الحاتمى أخص صفاتها ، والحلم الأحنفى رفيق حياتها ،

والنفس تأكلها الحسرة ، وتخنقها العبرة ، حين ترى المحسن يساء ، والمسىء يأخذ ما يشاء ، هل جاءكم نبأ موظف مصرى لا يعجبه فى مصر شىء ، ويعجبه فى غيرها كل شىء ؟ وهل سمعتم برجل من رجال العلم هو أداة طيعة فى يد المال يصرفه كيف شاء ، ولا يبالى أحسن أم أساء ؟ ؟

نحن نعيش بين العبر ، ولا نعرف المبتدا من الخبر ، وعلى ألسنتنا القول ولا نقول ، وما غناء القول إذا تفاتت العقول ...

على العمارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

حول شعراء وأدباء فى جيش الفاروق :

قرأت فى عدد الرسالة الأخير (٨٩٢) كلمة للأستاذ محمد خليفة التونسى عن كتابى « شعراء وأدباء فى جيش الفاروق » فرأيت من « العدل » أن أعقب عليها بنية تبيان الحقيقة

١ — قال الناقد فى صدر حديثه « إننى ضابط ، ويعلم الله أننى لم أحظ بشرف الجندية ...

٢ — قال الأستاذ خليفة — نقلا محرفاً عن تعريف الناشر بى — « ينأى بنفسه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى فى تقديسها ، فهو تعريف « تقريرى » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون » ولو تحرى حضرته الدقة لأدرك أن الناشر يعنى « والدة » المؤلف !.

٣ — وصم الناقد المقدمة التى تصدرت كتابى والتى قررت فى خلالها أن الأدب والجندية لا يتنافران بأنها « صرخات فى الهواء » وكان أولى به بدلاً من أن يلقى القول « جزافاً » أن يقدم الأدلة والبراهين ...

٤ — حين وضعت هذا المؤلف عن الشعراء والأدباء فى جيش الفاروق المظفر لم أبغ إلا تقديمهم خارج النطاق العسكرى . وكان مثلى مثل « التاجر » الذى يقدم « بضاعته » و « يروج » لها بشتى السبل ...

٥ — فى حديث الناقد عن « ذوق » الكاتب فى اختيار « النماذج » كان مسرفاً فى التعبير ... ولو تحقق الناقد لأدرك أننا لم نقدم نماذج لليوزباشى سيد فرج ، والبكباشى محمد عبد الفتاح إبراهيم .

٦ — وكلمتنا الأخيرة تعنى بأنه ينبغى أن يعرف « الناقد » رسالته على حقيقتها فيكون على حد تعبيرنا أشبه بـ « جندى المرور » الذى يوجه الحركة ولا يكون كـ « الكونستابل » الذى يحرر « المخالفات » فحسب ! !

محمود عيسى
سكرتير تحرير مجلة الجيش

لبس فى اللفظ « شنوف » :

كان بيمينى العدد ٧٨٤ من الرسالة الغراء وكنت أقرأ فيه

مقالا ماتعاً للشاعر الناثر الأستاذ الجليل محمود رزق سليم مدرس الأدب بكلية اللغة العربية ، فما إن بلغت من القراءة إلى لفظة (شـنوف) في قوله في صحيفة ٧٧٩ (جلس في ظلالها جلوس الواله « الشنوف » حتى أمسكت لسانى عن متابعة القراءة ، ووقفت حيالها هنيهة أستذكر بقايا ما أحفظه من أبيات فيهـا ألفاظ تؤدى نفس هـذا المعنى ، ليس من بينها هذه اللفظة غير العربية التى نحن بصدد الكلام حولها . وهذه الأبيات ليست فى كثرة وهي — قال البحترى (١) :

ولمة كنت « مشغوفاً » بجدتها فما عفا الشيب لى عنها ولا صفحا

وقال المتنبى (٢) :

كأن الحزن « مشغوف » بقلبى فساعة هجرها يجد الوصـالا

وقال الشاعر (٣) :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى « مشغوفة » بمواطن الكتمان

وقال الشاعر (٤) :

« مشغوفة » بك قد شغفت وإنما حم الفراق فما إليـك سبيل

وتفصياً من الشك وسداً لثغرة الاحتمال بعد هـذه الأبيات على رغم قلتها ، وإن كان فيها غنية أى غنية فكنت قد اقترأت فريقاً من معاجم اللغة فى اهتمام تام ، وفى تيقظ وتحفظ فلم أعثر للفظة (شنوف) هـذه على أثر البتة ، وإنما الذى ألفيت هو (الشغوف) بالغين المعجمة « والشعوف » بالعـين المهملة أيضاً ليس غير ، فيتضح إلى ذلك أن هذه اللفظة الغريبة ليست من اللغة العربية ، وإنما تسربت إلى أقلام بعض الـكتاب من سبيل الصحف التى لا سلطان لأدب اللغة عليها .

فالويل كل الويل للصحف من هـذه اللغة الرائعة البارعة فإنها لا تحفل فى أكثر الأحايين إلا بالمعنى فقط ؛ وأما اللفظ — ولا معنى بغير لفظه — فإنها ترسله على عواهنه إرسالا من غير احترام للأدب اللغوى .

(طرابلس الغرب) محمد مهدى أبو عامر
كلية أحمد باشا

(١) البلاغة الواضحة ص ٨٧ .
(٢) مع المتنبى للدكتور طه حسين ص ٢٤١ .
(٣) البلاغة الواضحة ص ١٢٦ .
(٤) الأشمونى ص ١٣٧ ج ثان — ذكر هذين اللفظتين المحيط والتاج والمصباح ، ومن العجب أن اللسان والصحاح لم يذكرا إلا التى بالعين المهملة فقط .

لا أزال :

قرأت فى العدد ٧٩٠ ص ٩٦٧ مقالاً للأستاذ أحمد أحمد العجمى اعترض فيه على دخول (لا) على (أزال) المضارع إلا فى الدعاء واستشهد بشعر ذى الرمة . وقد وهم الأستاذ فى اعتراضه فإن القاعدة قاصرة على الماضى فقط (زال) تدخل عليه (لا) فى الدعاء فقط وفى غيره تدخل ما .

قال الله تعالى : (فما زالت تلك دعواهم) سورة الأنبياء — وأيضاً : (فما زلتم فى شك) سورة غافر — وأما المضارع فالأصل فيه دخول (لا) قال الله تعالى : (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) سورة المائدة — وقال : (لا يزال بنيانهم) . فى التوبة — وقال (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم) . فى سورة الرعد — وقال : (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) . فى الحج — وقال : (ولا يزالون يقاتلونكم) فى البقرة — وقال : (ولا يزالون مختلفين) فى هود — وليس فى القرآن الكريم غير ذلك .

ومن هذا ترون أن الأستاذ العجمى لم يوفق فى اعتراضه وأن الصواب أن يقال (ما زال ، ولا يزال) فى الماضى والمضارع

عبد السلام النجار

تعقيبان :

١ — أحب أن تعلم الآنسة الأديبة سعاد كامل أنى لا زلت عند وعدى ، فسأتكلم قريباً عن الشاعرين الكبيرين محرم والكاشف على صفحات الرسالة ، وأظن الآنسة الفاضلة تعرف أنى بعيد عن القاهرة الآن ، فلا سبيل إلى دار الكتب المصرية فى الريف ، وهى بما تحتويه من جرائد ومجلات أدبية ، مرجع الباحث عن قريض شاعرين عظيمين ، لم يقدر — بعد — لديوانيهما الظهور فى سفر شامل محيط ، فإلى الغد القريب إن شاء الله .

٢ — وقع فى قصيدتى « المجاهدة الشهيدة » المنشورة بالرسالة تطبيع أدى إلى اختلاف الوزن وغموض المعنى . وفيما يلى تصحيح الأبيات المحرفة .

كعصافير ظنت الأيك يخلو من شريك فبوغتت بالصقور
كل ليث يهيج فى صدره البأس كنار تشب فى تنور
سمعت فى الدجى البهيم أنيناً لجريح يئن تحت الصخور

محمد رجب البيومى

لو أصبح لليهود دولة ..

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥٩)

كالصليب الأحمر وغيره — عجبت أن يهتم هـذا الاهتمام الذى يشكر عليه قليلا ، وأعجب منه ألا يخطر بباله أن أشباه الناس apes اليهود هم كانوا سبب هذه الكارثة . وأعجب وأغرب أنه وهو يترك الحبل على الغارب لليهود لا يطلب من مجلس الأمن بكل شـدة أن يرغم (إن كان عنده قوة للارغام) جميع يهود العالم أن يدفعوا أثمان جميع الأرزاق والأموال والأملاك وكل ما كان فى حوزة العرب — كل هذه التى نهبها اليهود من بيوت العرب وأملاكهم وحوانيتهم ، وهى تقدر بنحو ثلاثمائة مليون جنيه استرلينى ، هى الآن فى ذمة اليهود إن كان لليهود ذمم .

عجبت أن يسكت برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم وحاخامات اليهود عن الثلاثمائة والإثنين والسبعين مليوناً من الدولارات الأمريكية التى تصدق بها نصارى أمريكا على منكوبى اليهود فى أوربا ، وما كانوا ملزمين لولا أن مسيحهم قال لهم : « احسنوا إلى من أساء إليكم » ! وإذا هؤلاء اليهود الأدنياء ينفقون تلك الملايين على محاربة العرب لأنهم لم يكن عندهم منكوبون يستحقون الإحسان ، بل عندهم جميع أموال العالم !

أنستغيث نحن بالأمم لكى نقوم بأود منكوبينا ويكون لنا عند اليهود ٣٠٠ مليون جنيه .

نذكر الجامعة العربية بهـذا الحق الضائع لكى تطالب به برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، فقبل أن يحكم مجلس الأمن بدولة إسرائيل يجب أن نستخلص من بنى إسرائيل هذا الحق إن كانت تعرف الحق وتحترمه !

وعلى انكلترا أولا وأمريكا ثانياً حتى جميع الدول التى أقرت التقسيم أن تحصل هذا الدين من اليهود للعرب ، وعليها أيضاً أن تطالب اليهود بغرامة مائة مليون جنيه على الأقل لأنهم هم الذين انتدبوا العرب للحرب ، فعليهم أن يدفعوا ما وقع على العرب من خسارة بسبب الحرب .

ثم إن هذه الغرامة وجميع المنهوبات التى نهبها اليهود من العرب تخول جميع الحكومات العربيـة أن تحجز جميع أملاك اليهود وأموالهم فى بلادها لكى تستوفى مااستطيع استيفاءه من هذه الديون الملقاة على عاتق جميع يهود العالم بالتضامن ، لأنهم كلهم كانوا يجمعون الأموال للصهيونيين ، وهى أموال مبتزة من البلاد التى يقطنونها بطارق غير منتجة وغير قليل منها مبتز من العرب !

إذا كان عند الدول العظمى ذرات من الشرف كما عندها ذرات للقنبلة ، فلتحصل هذه الحقوق من اليهود للعرب !

نقولا الحداد

تصويب :

وقع فى افتتاحية العدد الماضى من الرسالة خطآن مطبعيان نصححهما فيما يأتى :

(وبكينا حتى نضب الدم) وصوابه الدمع .

(بالمخادعة والفيش) ، وصوابه الفيش ، وهو يعنى (القشر) و (المر) فى لغة العامة .



صفقة !..

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

مثل المتهمان « مزار أزيدور برومنت » و« بروسبر نابليون كورنى » أمام محكمة جنايات « السين » لشروعهما عن عمد في قتل امرأة « برومنت » المتهم الأول ! ...

وزُجّ بهما في « قفص الاتهام » فراحا يقلبان نظرات حائرة ، ويرددان أنفاساً مضطربة ... وكان كلاهما من أهل الريف .

وبدا « برومنت » ربعة قصير الذراعين والساقين ... قانى الوجه مرصع الديباجتين بالبثور ... وقد التصق رأسه الأكبس [١] بجسده القميء الكروي ... وما بينهما من عنق ... وكان يقطن مدينة « كانشيل - لا - جوبل » في ولاية « كريكتوت » ويقتات رزقه من رعاية « الخنازير » وإنمائها ! ...

أما « كورنى » فرجل ضاوى الجسم غير فارع القوام ... يتدلى من كتفيه ذراعان مفرطان في الطول ... أشوه الوجه ، أضجم الشدقين ، أحول العينين ... يرفل في كساء أزرق كالقميص ، يطاويه حتى الركبتين ... وينسدل على جبينه العريض بعض شعيرات مصفرة اللون ، تخلع على وجهه سمات بغيضة تعافها النفس ويمجها البصر ...

وكان القوم يدعونه بالقس لما أوتيه من براعة في ترتيل الأناشيد بين جنبات الكنيسة ... حتى هام به بعض الناس ... في « كريكتوت » ، وذابوا إعجاباً به وشغفاً بتسابيحه إلى الله !

واستقرت في « منصة الشهادة » زوجة « برومنت » وهي فلاحة عجفاء ، بادنة الهزال ... تكاد أن تخر من الوهن ، وتوشك أن تغرق في النوم ... كانت واجفة واجمة لا تحرك ساكناً ، وقد عقدت راحتيها في حجرها وراحت حدقتاها تدوران في بلاهة واضطراب ... وتجلت في صفحة وجهها آيات من الجمود ودلائل من الخمود ! ...

ابتدرها القاضي في صوت رفيق رقيق مستأنفاً مسماه في التحقيق : —

« لقد أدركت — أيتها السيدة الفاضلة — أنهما اقتحما دارك . ثم ألقيا بك في « البرميل » المترع بالماء ... فدعينا نلم بجلية الأمر في إسهاب ... تكرمي بالوقوف » ...

فما إن همت قائمة ، حتى لاحت في قبعتها كعمود شاهق ، وطفقت تجأر بقصتها في صوت ترسله على مهل :

بينما كنت أقشر الفول ... دلفا من الباب معاً ... فحدثت نفسي « إن الشر يزهر في عيونهما ... ما أقبلا إلا لسوء ، وما أضمرا سوى الغدر ... سأمسك حذرى منهما » ومكثا يختلسان إلى نظرات شذراء ... وعلى الأخص « كورنى » الذي لا يفتأ يشوب الحول عينيه ... فأحسست لمرآهما معاً بالكمد يخذني والحسرة تمضني فما كان أحدهما ممن يشرف المرء ويثير زهوه ! .

ولم ألبث أن قلت لهما « ماذا وراءكما ؟ ! » فما نبس أحدهما ببنت شفه ، بل ظل سادراً في صمته ... مما دفع الريبة إلى قلبي ، وهاج الظنون في نفسي ! ... »

فصاح « برومنت » المتهم في حرد وجفاء :

— « لقد كنت أترنح وأنا سليب الوعي ! ... » فأتى « كورنى » بطرفه إلى شريكه في الإثم ، وقال له في صوت عميق كأنه عزيف الأرغن [١] :

— « ما كنت مجانفاً للحق ... لو قلت كلانا كان مترنحاً سليب الوعي ! ... »

فانتهره القاضي في عنف ودهشة :

— « أو تقولان أنكما كنتما ثملين مخمورين ؟ ! ... »

برومنت — « وهل في ذلك من حرج ؟ ! ... »

كورنى — « إنه يقع لكل البشر ! . »

فكظم القاضي غيظه ، وهو يروم الشاهدة :

(١) رأس أكبس ... مستدير ضخم . « ج »

(١) الأرغن آلة موسيقية لا تخلو منها الكنائس . « ج »

— « ناشدتك الله ... صلى ما انقطع من روايتك ... أيتها السيدة الفضلى ! . » فعادت المرأة تقول فى صوتها الأجش وهى ترسله فى تؤدة وعلى مهل :

— « ثم سألنى برومنت « هل لك فى خمسة فرنكات ؟! » فوافقته على سؤله ... لأنك لم تمتر على خمسة فرنكات تحت كل أيكة تصادفها ... فما لبث أن قال لى « هلمى معى ... وسوف أريك ما تفعلين ! ... » ثم مضى حيناً ... وعاد يدفع أمامه « البرميل » الضخم الذى نتلقى فيه ماء المطر ... ثم أقامه فى وسط المطبخ ... وهو يقول « هلا تملئينه حتى الشفا بالماء »

فشمرت عن ساعد الجد ، ولم آل جهداً ساعة ، وأنا أسعى بالدلوين بينه وبين البحيرة أحمل مزيداً ومزيداً من الماء ... فقد كان من الضخامة ، حتى لكأنه بئر بعيد الغور ...

أما هذان الزنيان « برومنت » و « كورنى » فقد مكثا طيلة الوقت يعبان فى الخمر ... ويملآن الكأس تلو الكأس . .

حتى لم أتمالك أن صحت فيهما « لكأنكما أكثر امتلاء بالخمر من هذا البرميل .. » فأجابنى برومنت : لا تبالى بما نحن فيه .. وثابرى على عملك أنت . . فلسوف يحين دورك . . » فلم أعره سمعاً . . لأنى أعلم بما للخمر من عقبى تسل العقل من إدراكه ، وتمنع النفس صوابها .

حتى إذا فاض « البرميل » بالماء . قلت « يا هذا . لقد فرغت من عملى » فناولنى « كورنى » خمسة فرنكات — كورنى وليس برومنت يا صاحب السعادة . . إنه كورنى الذى منحنى أجرى . . ولكن لم يلبث « برومنت » أن قال : « هل لك فى خمسة فرنكات أخرى ! . » فقلت على الفور « نعم . . » حتى لا تفلت من أناملى هـــذه الفرصة الذهبية ... فانثنى يقول « هيا انزعى ثيابك ! ... » فصحت فيه وقد أخذتنى الدهشة والعجب « أنزع ثيابى ؟! . » فأجابنى « أجل » فسألته منكرة « أأنقضها كلها ؟! » فقال « إن كان هذا يثير انزعاجك ... فامسكى عليك قيصك ... إنا لا نبغى نزاعاً ... »

حسن ... خمسة فرنكات قدر لا يستهان به . . فما على من بأس لو فادعت هذين السفيهين . فرفعت قبعتى من فوق رأسى . ثم خلعت دثارى . . وسللت قدمى من النعلين ! . وحينئذ قال برومنت « ليس ثم داعى للخلاص من جواربك . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . » فهتف كورنى مرجماً « أجل . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . »

وهكذا قمت أمامهما على شبه من أمنا « حواء » ! . فنهضا من جلستهما ترنحهما الخمر . وهما لا يكادان يثبتان على أقدامهما . عفواً يا صاحب السعادة . . قلت لهما « وماذا بعد ؟! » فصاح برومنت « أو مستعد أنت ؟! » فأجابه كورنى « مستعد ! »

ثم لم يلبث « برومنت » إن أمسكنى من رأسى ، وقبض كورنى على قدمى ... كالشاة التى تهيأ لغسلها ! . فما أن هممت بالصياح ، حتى زجرنى « برومنت » فى قسوة قائلاً « امسكى لسانك ... أيتها المرأة الوقحة ! . » ثم رفعانى فى الهواء ، وقذفا بى فى « البرميل » ... فسرت فى كيانى قشعريرة جمدت الدم يضطرب فى عروق ويتصاعد دافقاً إلى رأسى ... فتصطك أسنانى وأحس الجد يمتربنى من ناصيتى حتى أخمصى ! . .

وسمعت برومنت يقول « ولكن رأسها ما برح لا يغمره الماء . إن هذا يدخل فى الحساب ! . » فرد عليه كورنى « ضع رأسها إذن تحت الماء ! . » فلم يلبث أن دفع رأسى فى البرميل كمن يعمد إلى إغراق ... فاستشعرت الماء يتسرب إلى أنفى ... وتراءى كأنى أوشك أن اتخذ سبيلى إلى السماء ! . .

وما أنفك يدفعنى ... حتى غمرنى الماء ... ثم خالجه الخوف فجأة ، وساوره النــدم ، وراودته الرحمة ... فعاد يرفعنى قائلاً : — « هيــا جففى جسدك ، واخصفى عليك ثيابك ... يا حقيبة من العظام ... »

فلم أكد أثوب إلى نفسى وأتمالك مشاعرى ... حتى أطلقت لساقى الريح ، وهرعت إلى « راعى الكنيسة » ذلك الرجل الطيب القلب الكريم النفس الوفى الخلق ... فأعارنى دثاراً من ثياب خادمه ... وطفق يسرى عنى حتى أفرخ روعى ! . . ثم انطلق يدعو صاحب الشرطة والسيد « شيكوت » النائب ! . .

وعدنا أدراجنا جميعاً إلى الدار ... فألفينا برومنت وكورنى يتقاتلان كزوج من الكباش !.. وكان برومنت يزجر والغضب يتقد فى عينيه « إن هذا وكس ... لقد أخبرتك أنها ليست دون « المتر المكعب » .. لقد أسأنا العمل وأخطأنا الوسيلة ! . »

فضبح كورنى فى حنق « بل أربعة من الدلاء المتلئة ... لا تبلغ نصف المتر المكعب ... إنها حقيقة ... لا تملك لها إنكاراً ولا تجد منها خلاصاً ! . . » فدنا منهما صاحب الشرطة ، وحال بينهما فى صرامة ... وما كنت أحير شيئاً ! . . »

وتهالكت السيدة على مقعدها ... فانفجرت فى قاعة المحكمة عاصفة من الضحك ... وتناظر المحلفون ، وقد رفت على ثغورهم ابتسامات تحفها الرزانة ... حتى إذا رانت السكينة وخيم الهدوء خاطب القاضى « كورنى » المتهم :

« يبدو أنك المحرض على هذه المكيدة التى تفيض شناعة وتدر خزياً . أو عندك من الدفاع ما تقدمه بين يدينا جلاء لما قارفته ! »

فهم « كورنى » على قدميه قائلا : « لقد كنا ثملين تعبث برأسينا الخمر ! » فأجابه القاضى فى رصانة وهدوء « إنى أعلم هذا صل حديثك ! » — « مهلا ! ... سيواتيك مالا تعلم ... حسن ! لقد جاءنى « برومنت » فى تلك الصبيحة ، ودعانى إلى كأس من شراب « البراندى » ... فجلست إليه وأفرغته فى جوفى ... وحفزنى الأدب إلى أن أقابل فضله بمثله ... فدعوت له بكأس آخر ... فأجابنى بكأس ثالث ، فرددت عليه برابع . ودالت بيننا الخمر ودارت منا الرؤوس .. حتى انتصف ميزان النهار .. فإذا بنا مخموران نترنح من النشوة ! ..

وطفق برومنت يجأر بالصياح . فخالجنى الأسف له وأحسست إشفاقاً عليه ! ... فسألته عن جلية أمره ! ... فقال « لابد لى من ألف فرنك قبل الثلاثاء !. » فانطويتُ على نفسى . بالطبع . بيد أنه شك غير طويل ، ثم قال فى مثل هدوئك وشبه وقارك يا سيدى : « سأبيعك زوجتى ! . »

حسن ... كنت ذاهب الواعى عاطل الرشد ... وكانت زوجتى قد لبت داعى المنون . . فدار بخلدى — وهو مضطرب — أن من الخير أن استحوذ على امرأته . . ما كنت أدرى عنها شيئاً ... ولكن الزوجة دائماً هى الزوجة ... فانثنيت أسأله « وكيف تبيعها لى ؟! » فتطامن رأسه وهو يفكر ، أو لعله خلع على ذاته سمات التفكير ومظاهر التدبير . . فالمرء إذا عانق الصهباء . . تبلبلت فى ذهنه الآراء ، وعاثت فى جسده الأدواء .

ثم لم يلبث أن أشرق وجهه وانبسط جبينه وهو يقول : « سأبيعها لك بالمتر المكعب ! . » فلم يأخذنى الدهش ، فما برحت نشوة الخمر تعربد بين جوانحى . . كما أنى استخدم المتر المكعب فى تجارتى ! ... إن المتر المكعب يقدر بألف لتر ... فوافقت هواه ، بيد أن العقبة التى تنهض فى سبيلنا .. هى الثمن ، وهو رهين بما يتمخض عنه عديد الأمتار . . وعن لى أن أسأله :

— « وكم تود فى المتر المكعب ؟!. »

— « ألفى فرنك ! . . »

فوثبت من مجلسى كأرنب مروع . . ولكن جال بخاطرى أن ليس ثم فى الوجود امرأة تجاوز فى الكيل ثلاثمئة لتر ! . . قلت له :

— « إنك على شطط فيما عرضت ! . » فأجابنى وهو يهز رأسه :

— « لا آخذ دون ذلك .. فإنها لخسارة تفدحنى ! . »

كان يساومنى كأنه يبيعنى إحدى خنازيره ، وإنه لبارع قدير على بضاعته .. هه . . هه . . قلت له « : إن كانت شابة فتية فلسوف أغضى ولا أبالى . . أما إن كانت أخت عجز لطول ما أبليتها وأخلقت جدتها .. فما أدفع فيها سوى ألفاً وخمسمائة للمتر المكعب ولن تمس دانقاً مزيداً عليها أو ترضى ؟ » فارتفع صوته هادئاً رضيت ! . هيا نتصافح . . »

فهززت يده شداً على العهد . . وانطلقت متأبطاً ذراعه . . لا بد للانسان فى زحمة الحياة الشقية وموكبها الصاخب أن يمد يد العون لأخيه الإنسان !.. بيد أنى ما لبثت أن أغرقت فى الحيرة وفاض بى الدهش !!. فانقلبت أسأله : « كيف تسمى لكيلها ؟. وما هى بسائل !.. لسوف يعيينا أمرها ! . »

فأبان لى عن خاطر ما كان يتجلى من عقل ثقلت عليه وطأة الخمر . وشاعت فى صفائه شوائب الثمل . قال : « سآتى ببرميل. ونملأه حتى يطفح منه الماء .. ثم نضعها فيه .. ونقدر ما ينسكب من الماء .. فهو جرمها .» فهتفت فى إعجاب : « إنه رأى سديد. وفكرة صائبة !.. ولكن كيف نقدر ما ينسكب من الماء ، وما يتناثر من الرشاش ؟. ولسنا له بحاصرين ! »

فرمانى بالغباء ، ودمانى بالسخف . وأخبرنى أن كل ما نفعله هو أن نملأ « البرميل » تارة أخرى . . بعد أن ننتشل امرأته ،

ثم نقدر ما نضيفه من الماء بعد ذلك ! . إن كان عشرة دلاء فإن نظيرها متر مكعب ! . أه .. ليس ثم في الوجود امرؤ أحدّ ذكاء وأمضى فطنـة من هذا اللئيم ، والخمر ناشبة في رأسه ، جاثمة على عقله ! ..

وصفوة القول ... اتخذنا سبيلنا إلى بيته ... فلما وقع طرفي على المرأة . . . رحت أحدق فيهـا وأنفذها ببصري في نظرات فاحصـة . . . لم تكن على مسحة من الجمال . . . وها هي ذي أمامكم ... فانظروها .. وحدثت نفسي ر.. « لا عليك ! . . . سواء تفيض ملاحة وتسـيل قبحاً . فإنهن يؤدين جميعاً الغاية المنشودة ! ... » أليس كذلك يا صاحب السعادة ؟! ... كما أنها كانت عجفاء ضامرة الجسد كأنها العصا اليابسة . . . فـساورني خاطر « أنها لن تجاوز أربع لترات ! . . . » إني خبير بهـذه الأمور ... فهي سر مهنتي ! ...

وقدمت لـكم ما حدث .. لم نجردها من قيمها وجورها ، لما تعمر به قلوبنا من الورع ، وما تزخر به نفوسنا من الحياء .. مع ما في ذلك من خسارة لي ... فلما بارحت « البرميل » ... مرقت من بين أيدينا ، وأطلقت لساقيها العنان تسابق الريح ... فصحت مشدوهاً « وى ؟ ... رومنت ... إنها تفر منا ؟ ... » فأجابني في صوت هادىء : « لا تحفل بأمرها . . . فلسـوف تنكص على عقبيها سريعاً .. فأمسك بها لك في هوادة ... دعنا نحسب النقص ! ... »

فلم تتجاوز الدلاء أربعاً .. ها .. ها .. ها ! .. »

وانطلق السجين في ضحك يهزه هزاً عنيفاً .. حتى ربت على ظهره جنديه الحارس في رفق . . . فثاب إلى هـدوئه وفاء إلى سكينته ، ثم استأنف حديثه :

« وصفوة القول .. لم تأت الأمور على ما يشتهي رومنت ، فتصايحنا ، ودوى صراخنا ! .. ثم تعطلت لغة الكلام ، فأمسك كل منا بتلابيب الآخر يروم ضربه ، وطرحه على الأرض .. كنا سكارى . . . فحسبنا أن عراكنا سيدوم إلى يوم الحشـد ! ... حتى فرق بيننا صاحب الشرطة .. وقبض على كل منا وزج به السجن .. وإني لأطالب بالتعويض عما لحقني ! . . »

وارتد « كورني » إلى مقعده ... فتهاوى عليه ... وكان « رومنت » يومىء برأسه بين الفينة والفينة مؤيداً شريكه ... معززاً لما جرى على لسانه .

وغاب المحلفون ساعة يقلبون الرأي في روية ، ويهيئون الحكم عن سـداد ... وقد اكتنفتهم الحيرة ... ثم أعلنوا الملأ براءة كلا السجينين ... ولـكنهم قرنوا ذلك بحد ... هو أن الزواج رباط مقدس لا يبيح صفقات التجارة ، ولا يحل فيه البيع والشراء!

وانطلق « رومنت » إلى عش الزوجية ، وزوجته في رفقته ! وعاد « كورني » طليقاً إلى حانوته ! ...

(طنطا) مصطفى جميل مرسي